البَابُ الثانى

حياة الرجل

أبو بكر الصولى

الفصل الأول : اسمه ونسبه.

الفصل الثانى : عائلته وأسرته.

الفصل الثالث : مولده ونشأته.

الفصل الرابع : حياته فى قصور الخلفاء.

الفصل الخامس : أساتذة الصولى.

الفصل السادس : تلاميذ الصولى.

الفصل السابع : ثقافته ومنابعها.

الفصل الثامن : روايته ومصادرها.

الفصل التاسع : ولوعه وحذقه فى فن الشطرنج.

الفصل العاشر : منادماته.

الفصل الأول

اسمه ونسبه

اتفق المترجمون لأبى بكر الصولى - جميعا - على اسمه ونسبه، وكنيته ولقبه. فهو عندهم «**محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين البغدادى الشطرنجى**. ولكنهم اختلفوا فى الطريقة التى أوردوا بها إسمه من حيث الطول أو القصر، ومن حيث التقديم والتأخير.

فمنهم من أورد اسمه واسم أبيه فقط[١].

ومنهم من أورد اسمه واسم أبيه وجده الأول[٢].

ومنهم من أورد اسمه واسم أبيه وسلسلة أجداده حتى وصل إلى الجد الأكبر «صول تكين»[٣].

وتبع إتفاقهم على إسمه ونسبه، إتفاقهم أيضا على كنيته ولقبه، فهو عندهم جميعا «**أبو بكر الصولى البغدادى الشطرنجى**[٤]».

وقد اتفق أكثر المؤرخين والأدباء وأصحاب التراجم على أن لقب «**الصولى**» هذا نسبة إلى جده الأكبر «صول».

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ٣٣٩/٢.

(٢) الفلاكة والمفلوكون للدلجى ١٠٣/١٢.

(٣) وفيات الأعيان لإبن خلكان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٢٤/٦، الأنساب للسمعانى ص ٣٥٧، المنتظم لابن الجوزى ٣٥٩/٦ ومعجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٦٥، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ١٠٩/١٩.

(٤) مرآة الجنان - اليافعى ٣١٩/٢.

غير أن قلة من المترجمين تنسب الصولى إلى مدينة «صول»[٥] أو جول إحدى ضياع جرجان أو إلى بلدة «**صول**» بصعيد مصر الأدنى[٦]» ولكن من الثابت تاريخيا أن الصولى الجد أو الحفيد لم يحضر إلى مصر، ولم يتحدث عن أقارب له فيها. كما أننا لم نجد فى المصادر الأدبية القديمة التى ترجمت للصولى من أرجع نسبه إلى «**قرية صول المصرية**[٧]» بل أن هذه المراجع كانت تذكر «**قرية صول**» المصرية لمجرد التشابه فى الأسماء - كما جاء فى معاجم البلدان - وتحترز بذلك حتى لا يقع لبس فى نسبته إليها.

على أن المحققين من أمثال ياقوت والمرزبانى وابن العماد والأصفهانى وابن الأنبارى وابن الجوزى وغيرهم يرجحون الرأى الأول وهو نسبة أبى بكر محمد بن يحيى الصولى إلى جده صول التركى الأصل.

وعموما فإن جده الأكبر «صول» ينسب بل ويتسمى باسم مدينة صول الفارسية. وسواء أنسب أبو بكر الصولى إلى جده صول، أو إلى مدينة صول فالنتيجة واحدة وهى:

أنه جرجانى الأصل ومن مدينة صول، فمن ينسبه إلى جده يطلق عليه «**الصولى**»، ومن ينسبه إلى موطنه يطلق عليه «**الصولى**»، غير أن نسبته إلى جده مما أجمع عليه الرواة والمؤرخون.

وقد أجمع كل الذين ترجموا لأبى بكر الصولى على عراقة أصله ونسبه. فقال ابن

---

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٥/١.

(٦) ذكر ياقوت ذلك من باب تعريفه للبلدان، ولكنه لم يذكر أن أحدا نسبه إليها ثم اعتقد محمد بهجة الاثرى أن هناك من نسبه إليها، فكذب ذلك فى مقدمة كتاب أدب الكتاب.

ويقول ج. هيورث. دن: إن المؤرخين يختلفون فى نسبته هذه (الصولى) أهى إلى المدينة المسماة (صول) أم إلى إلى جده (صول) ويرجح أغلب المحققين الرأى الأخير. (راجع مقدمة كتاب أخبار الشعراء). الصفحة (ط)

(٧) قرية صول: قرية صغيرة ناحية الصف مديرية الجيزة (القاموس الجغرافى للقطر المصرى ص. ٤٣).

الأنبارى[٨] «وكان ذا نسب، فإن جده «صول» وأهله كانوا ملوك جرجان».

وقال ابن الأثير والسمعانى وابن الجوزى[٩] «جده الأعلى هو صول ملك جرجان».

فالمصادر العربية القديمة تدلنا جميعا على أن أبا بكر محمد بن يحيى أحد حفدة «**صول تكين**» الأمير التركى الجنس، الذى نزح إلى جرجان إحدى مدن فارس وتملكها هو وأخوه فيروز، وتشبه بالفرس ودان بدينهم المجوسى، وعبد النار وظل على ذلك ردحا من الزمان، فنشأت سلالته على التشبه به وبأهل فارس، حتى كانت حملة «**يزيد بن المهلب بن أبى صفرة**» على جرجان واستيلائه عليها، ودخول الاسلام فيها، فأسلم «صول» على يديه، وأصبح مولى من مواليه، ولم يزل معه حتى خرجا معا على بنى أمية فقتلا يوم **العقر**[١٠] سنة ١٠٢هـ.

ولكن المصادر العربية القديمة لم تتعرض أو تتناول الأسباب التى جعلت هذا الأمير التركى ينزح إلى جرجان ليمتلكها.. ومتى كان ذلك أو كيف.. هل حربا أو سلما.

وأغلب الظن أن «صول تكين» كان أحد زعماء قومه أو قبيلته التى كانت تتنقل من أجل المرعى أو الغزو، وأنها فى نهاية المطاف استقر بها المقام فى جرجان، وسرعان ما سيطر عليها ونصب نفسه ملكا تحميه سواعد قومه وسيوفهم فنشأت سلالته فيها.

---

(٨) نزهة الألبا فى طبقات الأدباء لابن الانبارى ص ٣٤٣.

(٩) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٢٤/٦، الأنساب للسمعانى ص ٣٥٧، المنتظم لابن الجوزى ٣٥٩/٦.

(١٠) الأغانى للأصفهانى ٤٣/١٠ – هو عقر بابل وهو موضوع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب وصول سنة ١٠٢هـ.

الفصل الثاني

عائلته وأسرته

نشأ أبو بكر الصولى فى بيت من أكبر بيوت السياسة والعلم والأدب. فعائلة الصولى إحدى العائلات العريقة التى أسهمت بنصيب وافر وفعال فى نشر الدعوة العباسية وإنجاحها، وإسقاط دولة بنى أمية، ثم شاركت بمجهود ضخم فى خدمة الخلفاء العباسيين ودواوينهم، وفى خدمة أهل العلم والأدب والمعرفة.

فمن عائلة الصولى: «**أبو عمارة محمد بن صول**[1]» أحد جلة الدعاة العباسيين. ومنها «**مسعدة الصولى**[2]» الكاتب البليغ، أحد كتاب خالد بن برمك، والذى تولى الكتابة بعده لأبى أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل.

وكذلك ابنه «**عمرو بن مَسْعَدة الصولى**[3]» الذى نشأ فى دواوين البرامكة وتربى على أيديهم، ثم ولى شئون الدواوين لعهد المأمون[4] الذى كان يعجب برسائله.

يقول عنه ياقوت[5]: «من جلة كتاب المأمون، وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم» أما عن بلاغته فيقول[6] إنه «أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أن يكتب مثله فإذا رامه بَعُد عليه».

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢٥.
(٢) معجم الأدباء لياقوت ١٦/١٢٧.
(٣) معجم الأدباء لياقوت ١/١٦٥.
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٣٩٠.
(٥) معجم الأدباء لياقوت ١٦/١٢٧.
(٦) معجم الأدباء لياقوت ١٦/١٢٩.

ولقد بلغ عمرو بن مَسْعَدة الصولى مكانة مرموقة فى عهد الخليفة المأمون لبلاغته وعلمه وبراعته، جنى من ورائها مالا وفيرا، تحدث أبو بكر الصولى عن ذلك فقال[٧]:

«لما مات عمرو بن مَسْعَدة، رفع إلى المأمون أنه خلَّف ثمانين ألف ألف درهم، فوقع على رقعة: «هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيه».

ومن عائلة الصولى أيضا «**إبراهيم بن العباس الصولى وعبد الله بن العباس الصولى**» اللذان تخرجا فى مدينة المنصور - بغداد، وكانا من وجوه الكتاب فى عهد الوزير الفضل بن سهل الذى عرف قدرهما، فرفع من شأنهما. وكان عبد الله أسنهما وأشدهما تقدما، وكان ابراهيم آدبهما وأحسنهما شعرا[٨]. كان يقول الشعر ثم يسقط رذله ثم الوسط ثم يختار مما بقى، فلا يبقى فى القصيدةإلا اليسير، وربما لم يدع منها إلا بيتا واحدا أو بيتين». يقول عنه دعبل الخزاعى[٩]:

«لَوْ تكسَّب إبراهيم بن العباس الصولى بالشعر لتركنا فى غير شىء».

ويروى أبو بكر الصولى عن الحسين بن عبد الله أنه قال[١٠]:

«سمعت إبراهيم بن العباس يقول لأبى تمام الطائى، وقد أنشده شعرا له فى المعتصم؛ يا أبا تمام: أمراء الكلام رعية لإحسانك، فقال له أبو تمام: ذلك لأنى أستضىء بك وأَرِدُ شريعتك».

ويقول الصولى أيضا[١١]: «سمعت ثعلبا يقول:» كان إبراهيم بن العباس أشعر

---

(٧) معجم الأدباء لياقوت ١٢٩/١٦.

(٨) الأغانى - للأصفهانى ٤٣/١٠.

(٩) الأغانى للأصفهانى ٤٧/١٠، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٥/١.

(١٠) الأغنى للأصفهانى ٥٧/١٠.

(١١) الأغانى للأصفهانى ٥٩/١٠.

المحدثين «وما روى ثعلب شعر كاتب قط».

ولقد كان لمكانة إبراهيم بن العباس الصولى وأخيه عبد الله - جد أبى بكر - وثقافتهما وشاعريتهما، أن اتخذهما «**الفضل بن سهل**» كتابين للدولة[١١]، فتنقلا فى مختلف الأعمال والدواوين وظل إبراهيم يتنقل فى الأعمال الجليلية والدواوين إلى أن مات وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات بسُرَّ مَنْ رَأَى فى سنة ٢٤٣هـ.

وليس هذا فحسب بل أن عائلة الصولى تتصل عن طريق المصاهرة والنسب بأحد فحول الشعراء فى عصره وهو «**العباس بن الأحنف**» خال ابراهيم بن العباس وأخيه عبد الله[١٣].

من كل ما تقدم .. نستطيع أن نخلص إلى أن أبا بكر محمد بن يحيى الصولى قد انحدر عن آباء وأجداد هم رؤوس فى السياسة والعلم والكتابة والشعر، تقلدو جلائل الأعمال فى دواوين الخلافة. وكانت لهم مكانة خاصة عند الخلفاء والوزراء، وظلوا أئمة للعلم والأدب على مر العصور، حتى جاء أبو بكر وقد ورث نبوغهم جميعا، فكان أكثرهم ثقافة وإنتاجا، وكان إمام عصره[١٤] إخباريا مؤرخا، وأديبا مصنفا، وكاتبا وشاعرا ونديما.

وإذا كانت المصادر الأدبية القديمة تحدثت عن عائلة أبى بكر الصولى وأصلها العريق، ومكانتها المرموقة فى السياسة والكتابة والأدب، فإن هذه المصادر لم تتناول ولم تتحدث عن أسرته الصغيرة - زوجته أو أبنائه، ولم يتحدث الصولى نفسه عنها كما تحدث عن أجداده وآبائه، ولم يترجم المترجمون لأحد من أبنائه من بعده..

---

(١٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٥/١.

(١٣) انظر الأغانى ٥٩/١٠.

(١٤) ارشاد الأديب ١٣٦/٧، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣.

وذلك يجعل الباحث لا يستطيع أن يقطع بالقول.. فى أن أبا بكر الصولى قد تزوج وعاش حياة الناس العادية الأسرية، أو أنه لم يفعل ذلك، فليس هناك دليل..

كل ما يمكن أن يقال أن الرجل تزوج العلم والأدب وخدمة الخلفاء ومنادمتهم. ووهب حياته لذلك..

الفصل الثالث

مولده ونشأته

ولد أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ببغداد[١]، ونشأ بها، ولم يذكر مؤرخوه أو المترجمون له شيئا عن مولده، وفى أى سنة كان، ولم يذكروا شيئا عن طفولته.

وقد دل البحث على أن أبا بكر الصولى ولد فى خمسينات القرن الثالث الهجرى - وبالتقريب - فى سنة خمس وخمسين ومائتين. فنحن نرى صورة لشبابه فى بغداد، وتردده على الأدباء والعلماء والشعراء فى سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة.

ويحدثنا هو أنه إلتقى **بالبحترى** الشاعر[٢] فى هذه السنة وقرأ عليه وسمع منه. كما يحدثنا عن اتصاله **بالمبرد**[٣] عند عبد الله بن الحسن القطربلى فى هذه السنة أيضا، ويذكر الصولى بعض الأخبار عن أبى بكر أحمد بن زهير[٤] فى هذه السنة نفسها.

ويقول الصولى عن ابن أبى طاهر[٥]: «وقد رأيته بالبصرة سنة سبع وسبعين ومائتين وكتبت عنه مجلسين أو ثلاثة، فلما رأيته صحفيا، لم أر عنده ما أريد تركته...».

كل ذلك يدل على أن أبا بكر الصولى كان يحضر هذه المجالس وقد تجاوز

---

(١) إرشاد الأريب - ياقوت الرومى ١٣٦/٧، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ١١٠/١٩.
(٢) أخبار البحترى للصولى الخبر رقم ١ ص ٤٩.
(٣) أخبار البحترى للصولى ص ٩٩.
(٤) أخبار الشعراء للصولى ص ١٤٥.
(٥) أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠.

العشرين من عمره.. حتى يكون قادرا على استيعاب ما يقال فيها، قادرا على الحكم على العلماء والأدباء.

ويؤكد هذا الرأى ويدعمه، قول الصولى فى مديحته الضادية للراضى بالله - فى ثنايا أحداث سنة سبع وعشرين وثلاثمائة للهجرة:

وإذَا دَنَتْ سَبْعُون مِنْ مُتَأَمِّلٍ دَانَى ولَمْ يَرَ فِى اللَّذَاذَةِ مَرْكَضَا

وإذا كان المؤرخون والمترجمون لم يذكروا شيئا عن سنة ومولده أو طفولته فإنهم أيضا لم يتحدثوا عن منابع علمه، ولا أين طلب العلم، أو متى.. وفى أى سن.

ولكننا نعرف أن بغداد كانت موئل العلم والعلماء، وقبلة الشعراء والأدباء فى عصره.. فكان ولا شك يجد فى مسقط رأسه بيئة صالحة لنمو موهبته المبكرة.

ومن المؤكد أن أبا بكر الصولى - وهو حفيد كتبة الدواوين وعمال الإمارات، نشأ نشأة أبناء علية القوم، فى بيت عرف بالعلم والأدب، وسار فى نفس المجال الذى رسمه له أجداده وآباؤه، فتعلم القرآن الكريم وحفظَه، والحديث النبوى الشريف، ومبادئ القراءة والكتابة فى كتاتيب بغداد، حتى شب فارتحل من بغداد إلى البصرة[٦] والكوفة وغيرهما من أجل أخذ العلم ورواية الحديث.. ثم انتظم فى الحلقات العلمية والأدبية والدينية، التى كانت تقام فى ساحات المساجد لينهل من العلوم اللغوية والفقهية ما يروى ظمأه.

وأغلب الظن أن آباءه - وهم أساتذة الكتابة والأدب - تعهدوه بالرعاية والصقل والتوجيه، حتى تستقيم له لغته، وتنمو فيه تلك الموهبة الفذة المبكرة فى حب الأدب والشعر. فكانت هذه الرعاية وهذا التوجيه هما الدعامة الأساسية فى غزارة

---

(٦) أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠.

ثقافته، وتنوع علومه حتى وصل إلى هذه المكانة المرموقة بين معاصريه.. وفى مجالس الخلفاء والوزراء.

فنشأة الصولى كانت ولاشك نشأة دينية أدبية، تبدو واضحة جلية من اتجاهه العام، وطريقته فى التعبير[٧]، والتأليف والتصنيف، وسرده لكثير من المعانى القرآنية، واقتباسه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأن هذه النشأة أثمت البذرة التى بذرها آباؤه وأجداده فكان طرحها هذا المحصول الوافر من المؤلفات والمصنفات التى قام بها - وفى شتى المجالات - أبو بكر الصولى.

(٧) راجع خصائصه الفنية فى الأدب الانشائى (النثر الفنى).

الفصل الرابع

حياته فى قصور الخلفاء

ورث الصولى – فيما ورث – خدمة الخلفاء والعمل فى دواوينهم ولاشك أن آباءه قد تعهدوه بل وأعدوه لكى يخلفهم فيما هم فيه من أعمال ووظائف رسمية.

ولاشك أنه كان يتصل – بحكم صلته العائلية – برجال الدولة من الكتاب والحجاب والولاة وغيرهم وكان يسألهم عما يدور عليه عملهم، وكيف يزاولون مهنتهم وما الذى يقومون به فى خدمة الخلفاء.

كل ذلك حبب إليه أن ينخرط فى سلكهم ويدور فى مجالهم، وشجعه على الإنكباب على دراسته وتعميق ثقافته، كما نمَّى طموحه وقوى عزمه، فأخذ يدرس كل ما يحتاج إليه الخلفاء وما يتطلبه العمل فى خدمتهم، ويتزود بأسلحة العلم، ويوسع مداركه، ويحفظ الشعر قديمه وحديثه، ويعرف آداب الملوك، وأدوات النديم، حتى اشتد ساعده واستطاع أن يشق طريقه المرسوم فى سبيل الغاية الموضوعة.

وأغلب الظن أن الطريق إلى الخلفاء – كما أدركه الصولى – لابد وأن يمر أولا على الوزراء والأمراء، فنراه يتجول على قصور الوزراء والأمراء يكتب لهم ويمدحهم بأشعاره، شأنه فى ذلك شأن غيره من الكتاب والشعراء، ويرجح هذا الظن ما نجده من مقطوعات شعرية صغيرة وأبيات يسردها الصولى، ويقول أنها من قصائده فى بعض الرؤساء[1].

أمضى الصولى الثلث الأول من حياته فى مرحلة الإعداد للهدف الكبير الذى

(١) أدب الكتاب للصولى ص ٨٢، وأماكن أخرى متفرقة.

طالما طمح إليه فاتصل أولا برجال الدولة ووزرائها وأمرائها، وعمل فى خدمتهم، حتى واتته الفرصة، أو ربما هُيئت له حين عرفوه فوجدوا فيه خامة جديدة جيدة، فيها كثير من المميزات والكفاءات، ولمسوا مواهبه، فقدموه إلى الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩ هـ) ليعمل فى بلاطه كآبائه كاتبا.

وتقول المصادر الأدبية القديمة أن الصولى كسب ثقته واحترامه وتوطدت بينهما الصلة وتوثقت، فكان الصولى يكتب له ويمدحه بقصائده وينادمه أيضا، بل لقد ذكر المسعودى[٢] أن الصولى كان له دلّ على المعتضد يطلب منه فيعده، ثم يفى بوعده، والصولى يقدم له المدائح فى المناسبات المختلفة، ويذكر أحداث الخلافة، كما يضمن شعره علاقات المعتضد بأصدقائه ومحبيه.

ولما مات المعتضد بالله، اتصل الصولى بخليفته المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ) فكان أحد ندمائه.

ثم ارتبطت حياةالصولى - بعد المكتفى - بالخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) فتذكر المصادر أن الصولى نادمه، وسهر على راحته، وقام على مجالسه، وقدم إليه مايحتاج إليه من علم وأدب. وأن المقتدر بالله كان يحبه ويعظمه لحذقه فى لعب الشطرنج.

ولم تقف علاقه الصولى بالمقتدر عند حد المنادمة والمجالسة كما فعل مع الخلفاء السابقين، بل تعدت ذلك إلى علاقات أقوى وأمتن. فلقد لمس المقتدر فى الصولى العلم والأدب والدين، كما عرف فيه سعة الاطلاع وعمق التفكير ورجاحة العقل. فاستعان به فى تعليم ولديه محمد وهارون وتثقيفهما، وألقى على كاهله تبعة إعدادهما لما قد تجره وتقدره لهما الأقدار. فصلة الصولى بالمقتدر وحياته فى رحابه كانت ذات شقين:

---

(٢) مروج الذهب - المسعودى ٣٧٨/٤ (راجع علاقة الصولى بالمعتضد فى فصل المنادمة).

- شق يتصل بالمنادمة والمجالسة وما يتصل بذلك من أمور.

- وشق آخر أهم وأسمى وهو تعليم أولاده علوم الدين والأخبار والشعر والأدب. فكانت حياته فى عهد المقتدر حياة حافلة بالحركة والنشاط.

ولعل ذلك ما دفع الصولى إلى الاستزادة والتعمق فى العلم. لأن مركزه كنديم للخليفة ثم معلم وأديب لأولاده، اضطره أن يحصل من العلوم أوفر قسط حتى لا تخفى عليه خافية، ولعل ذلك أيضا ما لفت نظر الصولى بل ودفعه إلى تأليف الكتب فى شتى المجالات بقصد نشر العلم والأدب والثقافة.

استمرت صلة الصولى بتلميذه الأمير محمد بن المقتدر بالله طوال حكم أبيه، ثم طول حكم القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ) حتى كتب الله للأمير أن يتولى خلافة المسلمين، فكانت سعادة الصولى لا تقدر ولا تُحد، وكان له نعم الناصح الأمين والمرشد والموجه. وظلت حياته مرتبطة بتلميذه الراضى بالله طوال سنوات خلافته (٣٢٢-٣٢٩هـ)، ولا شك أن هذه الفترة من أهم الفترات وأخصبها وأبرزها فى حياة الصولى لعدة أسباب:

١ - أنه كان يشعر بالفخر والاعتزاز والإكبار أن تلميذ الأمس صار خليفة اليوم.

٢ - أن الصولى كان مشفقا عليه، مدركا مدى التبعات الجسام التى ألقيت على شبابه الغض، وأيضا ما كان يدور حوله من مؤامرات ومكائد أودت بالخلفاء السابقين، كل ذلك جعله أقرب منه وألصق به.

٣ - أن هذه الفترة تعتبر أهدأ الفترات فى حياة الصولى لما شعر به من الإستقرار المادى والنفسى والراحة القلبية.

٤ - أن هذه الفترة - أخصب الفترات فى حياة الصولى، ففيها وضع العديد

من مؤلفاته - كما أشار هو إلى ذلك فى كتابه الأوراق، إبان تأريخه لحكم الراضى، خاصة كتابيه **أدب الكتاب وأخبار الخلفاء**، وما يتصل بأحداث الخلافة فى الماضى والحاضر.

٥ - أن هذه الفترة هى الوحيدة التى وصلت إلينا كاملة وواضحة مع فترة خلافة المتقى لله (٣٢٩-٣٣٣هـ) برواية الصولى نفسه، دوَّن فيها كل ما رَه وسمعه، وجال فى خاطره، ونظم من شعر، فقدم لنا صورة واضحة من حياته فى رحاب الراضى، كما سجل لنا كل خواطره وانفعالاته وما صادفه من أمور.

حقيقة أن الصولى كتب عن عصر القاهر وأحداثه، ولعله كتب عما سبقه من عهود الخلفاء.. ولكن لم يصلنا منها شىء، فظلت هذه الأخبار مجهولة.

وإذا كانت حياة الصولى فى عهد الراضى قد اتسمت بالهدوء والإستقرار المادى والنفسى، وانعكس كل ذلك على إنتاجه الشعرى، وما أخرجته قريحته من مدائح فى الراضى بالله. كما انعكس على إنتاجه الأدبى والعلمى فأثمر العديد من المؤلفات والأبحاث، فإن دوام الحال من المحال، فسرعان ما أفاق الصولى من هذه النشوة التى أسكرته، وصحا من غفلته، على دقات نواقيس الحاجة والفقر، وقد صار كهلا تعدى السبعين، فأحس بأن نجم حياته قد أفل، وهوت سماء أحلامه، ومات الأمل العذب، فبموت الراضى بالله، مات الاستقرار، وولت السعادة والطمأنينة، وحلت محلها الغربة والوحشة وذل الحاجة والفقر، والصراع من أجل البقاء. وزاد الألم مرارة وأظلمت الحياة فى عينيه حين رفض **المتقى لله** (٣٢٩-٣٣٣هـ) أن يجالس أحدا، أو يتخذ نديما، وانتهج نهجا خالف فيه كل من سبقوه، فقد كان متعبدا زاهدا، ففضل أن يخلو بنفسه إلى المصحف، وأبعد كل حاشية الراضى.

وحاول الصولى أن يتقرب من وزيره «**ابن مقلة**» فمدحه بقصائد عصماء لعله يفتح أبواب قصره وقلبه، ولكن دون جدوى. فانغلق باب الرزق تماما فى بغداد -

وسد فى وجهه كل أمل فى البقاء بعاصمة الخلفاء، خاصة بعد أن تعرض للضغط والاضطهاد، والجحود والنكران من الوزير، فلم يجد الصولى بدا من أن يستأذن الخليفة فى الخروج من بغداد، فأذن له.

انتقل الصولى إلى واسط حيث الأمير **بجكم التركى** واليا هناك، فوجد لدى بجكم كل ما فقده عند المتقى ووزيره، فكان بجكم يعرف علمه وثقافته وأدبه، ولعله لم ينكر أفضاله.. وعن ذلك يقول الصولى[٣]: «لما وصلت إلى واسط دخلتُ إلى بجكم، فأكرمنى وقربنى، وأمر أن يؤخذ لى منزل قربه، وأدخلنى فى جملة ندمائه وذوى أنسه، ووصلنى سرا وعلانية.. وكان ربما وجه إلى بالعشيات إذا خلا فأدخلنى أنا وقاضى واسط - المعروف بالعسكرى - فربما شاورنا فى شىء».

وعرف أهل واسط بقدوم الصولى العالم المحدث الفقيه، فتقدموا إلى واليهم يرجونه أن يستسمحه فى الجلوس إليهم فى المسجد الجامع يوم الجمعة. فتقدم إليه بذلك، فوافق الصولى وجعل لهم مجلسين فى مسجد على بابه فى كل أسبوع[٤].

وهكذا وجد الصولى الترحاب من بجكم، وهكذا ارتاحت نفسه بعد أن رأى شبح الفقر وذل الحاجة، وظل فى واسط، فى حمى بجكم وولايته حتى علم بوفاة المتقى لله سنة ٣٣٣هـ، فدفعه طموحه - الذى لا يُحد - أن يتقرب من الخليفة الجديد «**المستكفى بالله**» (٣٣٣-٣٣٤هـ). فنراه يزمع العودة إلى بغداد، وسرعان ما وجد من المستكفى مثلما وجد من المتقى من قبل، وتقول بعض المصادر القديمة:[٥] أن المستكفى بالله رغب عنه لاتصاله بالهاشميين وحضوره مجالسهم وندواتهم، فأبعده عن مجالسه لاعتقاده أنه يميل إليهم ويؤيد مطامعهم وآراءهم.

---

(٣) أخبار المتقى لله للصولى ص ١٩٤.

(٤) أخبار المتقى لله للصولى ص ١٩٤.

(٥) تاريخ بغداد ٤٢٩/٣، وتاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٥١/٣.

وتقول المصادر القديمة أيضا: أن العامة والخاصة طلبت دمه، لأنه ذكر خبرا فى حق أمير المؤمنين على بن أبى طالب[٦]، ولكنها لم تذكر ما هو الخبر وما هى طبيعته وكنهه..

ولعل الصولى أراد أن يتقرب إلى الخليفة فذكر ذلك الخبر، فخسر الطرفين جميعا، فانتقل إلى البصرة هاربا من أقواله وأيامه، تتدافعه أيدى الحرمان وقد كشفت له وجه النكران لينزوى فى البصرة مجهولا مستترا حتى حان أجله، فانتقل للقاء وجه ربه..

وهكذا انتهت حياته بعد أن أُسدل عليه ستار الغربة والنسيان.

وفـــاته

وإذا كان المؤرخون والأدباء والمترجمون الذين تناولوا حياة الصولى وسيرته، وعلمه وروايته، ومؤلفاته ومصنفاته، قد أغفلوا ذكر السنة التى ولد فيها.. فإنهم أيضا لم يحددوا على وجه الدقة السنة التى جاور فيها ربه وإن يكن وجه الخلاف بينهم جميعا ليس كبيرا، فهو لم يتعد العام الواحد.

فمن المترجمين والمؤرخين من ذكر أن الصولى قد توفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة[٧] للهجرة (سنة ٣٣٥هـ). ومنهم من قال أنه قد وافته المنية فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة[٨] للهجرة (سنة ٣٣٦هـ).

---

(٦) الفهرست لابن النديم ص ١٥١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٨١/٣.

(٧) معجم الأدباء ١١١/١٩، الفلاكة والمفلوكون ص ١٠٣، شذرات الذهب ٣٣٩/٢، ارشاد الاريب ١٣٧/٧، وتاريخ أبى الفدا ٩٦/٢ هدية العارفين ٣٨/٢، لسان الميزان ٤٢٨/٥، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكمان ١٣٧/٣.

(٨) المنتظم ٣٦١/٦، معجم الشعراء ص ٤٦٥، النجوم الزاهرة ٢٩٦/٣، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١.

وهناك جماعة من المؤرخين احترزوا من الوقوع فى الخطأ عند تحديد سنة بعينها، فقالوا: «توفى الصولى سنة خمس وقيل ست وثلاثين وثلثمائة للهجرة[٩]».

على أن المؤرخين قد أجمعوا على أن أبا بكر الصولى قد لبى نداء ربه وهو شيخ هرم، قد ناهز الثمانين من عمره – أو ما يقاربها – بالبصرة بعد أن خرج من بغداد وقد أعوزه القوت، وأنه مات فى أوائل عهد الخليفة المطيع لله أبى الفضل بن المقتدر بالله (٣٣٤ – ٣٦٣هـ).

(٩) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الأنساب ص ٣٥٨، نزهة الألبا ص ٣٤٥، أنباه الرواة ٢٣٦/٣، تاريخ بغداد ٤٣٢/٣، مرآة الجنان ٣٢٥/٢.

الفصل الخامس

أساتذة الصولى

وأساتذة الصولى فى ذلك الحين أعلام الثقافة والأدب واللغة والنحو والفقه والحديث فى عصرهم، تتلمذ عليهم، وحضر مجالسهم وحلقاتهم، وسجل كل ما دار فيها من أمال وحوار ومناقشات، وشرح لمختلف العلوم. ونقل عنهم وروى لهم، وكان لهم الفضل الأكبر فى توسيع نطاق ثقافته وتنوع فنونه وعلومه.

فمن علماء الحديث الذين تتلمذ عليهم الصولى:

عبد الحمن بن خلف الضبى، المعروف بأبى رويق الضبى[١] المتوفى سنة ٢٧٩هـ. والذى اشتهر برواية الحديث فى بغداد.

ومحمد بن يونس البصرى المشهور بأبى العباس الكديمى[٢] المتوفى سنة ٢٨٦هـ، الذى رحل من البصرة إلى بغداد، واشتهر بأنه كان حافظا للحديث راويا له كما اشتهر برواية الغرائب.

ومعاذ بن المثنى العنبرى[٣] المتوفى سنة ٢٨٨هـ، الذى عاش فى بغداد، واشتهر برواية الحديث فترة طويلة.

وسليمان بن الأشعث المعروف بالسجستانى[٤] المتوفى سنة ٣١٦هـ. يقول عنه

---

(١) أنباه الرواه ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧.

(٢) لسان الميزان ٤٢٧/٥، أنباه الرواه ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧، المنتظم ٢٢٤/٦.

(٣) نفس المصادر السابقة.

(٤) مرآة الجنان ٣١٩/٢، لسان الميزان ٤٢٧/٥، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦ ومصادر أخرى.

ابن النديم[٥]: «هو من جلة المحدثين وفقهائهم، وله من الكتب كتاب التفسير، وكتاب ابن أبى داود. وكتاب المصابيح فى الحديث، وكتاب المصاحف، وكتاب نظم القرآن، وكتاب فضائل القرآن. وكتاب شريعة التفسير، وكتاب شريعة المقارى، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب البعث والنشور». كل ذلك مما يدل على غزارة علمه وفقهه ومعرفته بعلوم الدين.

● **ومن علماء اللغة والنحو:**

أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد[٦] المتوفى سنة ٢٨٥هـ. وهو إمام البصرة فى العربية والنحو فى عصره، والذى يعد ممثلا لأرفع ما بلغته الثقافة العربية الخالصة فى القرن الثالث الهجرى، وله من المؤلفات «**كتاب الكامل**» و«**كتاب الفاضل**» وغيرهما.

وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى المشهور بثعلب[٧] المتوفى سنة ٢٩١هـ وهو إمام مدرسة الكوفة فى النحو واللغة، وهو عالم ثقة راوية للشعر القديم، علامة بالغريب، وضع كتبا عدة منها «الفصيح» و«مجالس ثعلب» و«قواعد الشعر».

وهما العالمان اللذان يفخر الصولى بعلمهما وأستاذيتهما له فيقول[٧]: «ومن جليل من رأيناه ولزمناه وأكثرنا عنه من بعد صيته، وشهد بالعلم له ووقع الإجماع عليه إثنان: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى، وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى رحمهما الله».

---

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٣٢٤.

(٦) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، الأنساب ص ٣٥٧، والمنتظم ٣٥٩/٦، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الفلاكة والمفلوكون ص ١٠٣، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١، مرآة الجنان ٣١٩/٢.

(٧) مرآة الجنان ٣١٩/٢، ولسان الميزان ٤٢٧/٥، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١، أنباه الرواة ٢٣٤/٣، الأنساب ص ٣٥٧، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، لمنتظم ٣٥٩/٦، تاريخ أبى الفدا ٩٦/٢.

(٨) أخبار أبى تمام للصولى ص ٧.

كما أخذ الصولى عن **أحمد بن عبد الرحمن النحوى**[٩].

● **ومن الأخباريين وأصحاب النوادر:**

محمد بن زكريا الغلابى، المعروف بأبى عبد الله الغلابى[١٠] البصرى، الذى اشتهر بنقل الأخبار وروايتها.

ومحمد بن القاسم بن خلاد الضرير المعروف بأبى العيناء[١١] المتوفى سنة ٢٨٣هـ. صاحب النوادر والشعر والأدب، والذى اشتهر بأنه كان من أحفظ الناس وأفصحهم لسانا وأسرعهم جوابا وأحضرهم نادرة.

● **ومن أساتذة الصولى أيضا الذين حدث عنهم وتتلمذ عليهم:**

عون بن محمد الكندى[١٢] وإبراهيم بن فهد الساجى[١٣]، وعباس بن الفضل الأسفاطى[١٤] وخلق كثير[١٥].

وكان الصولى يكتب كل ما يسمعه من أساتذته ويدون ما يملونه من آراء، ويسجل ما يعن له من ملاحظات فى كتب خاصة، حتى تجمعت لديه مكتبة ضخمة كل كتبها من سماعه وتصنيفه وتدوينه.

والصولى لم يقف عند آراء أساتذته، وما ثقفه أو تعلمه منهم، بل أنه قرأ كتب الأقدمين، واطلع على تراث السالفين من الأمم المجاورة من اليونان والأتراك

---

(٩) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧.

(١٠) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧.

(١١) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، لسان الميزان ٤٢٧/٥، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١، المنتظم ٣٥٩/٦.

(١٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٨٩/١٤، الأنساب ص ٣٥٧.

(١٣) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧.

(١٤) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، والأنساب ص ٣٥٧.

(١٥) المنتظم لابن الجوزى ٣٥٩/٦.

والفرس فثقفها وفهمها وأخذ عنها.. فنقل عن بعض ملوك اليونان[١٦]، كما نقل عن جالينوس[١٧] وأرسطاطاليس[١٨]، ونجد أثر ذلك كله فى كتابه «أدب الكتاب»، فقد ضمنه العديد من الأقوال والحكم والمأثورات.

(١٦) ج. هيورث دن - مقدمة كتاب الأوراق للصولى قسم أخبار الشعراء.
(١٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤٧.
(١٨) أدب الكتاب للصولى ص ٥٠ وأماكن أخرى متفرقة.

الفصل السادس

تلاميذ الصولى

وإذا كان أبو بكر الصولى قد تتلمذ على أعلام الحديث والفقه والأدب واللغة فى عصره.. وتأثر بثقافتهم، واستشهد بآرائهم، وروى عنهم كل ما ذكروه وتناولوه بالتحليل والشرح.. فإن له أيضا تلاميذ شُهد لهم العلم والثقافة والأدب وكان لهم دور كبير فى نقل التراث العربى وروايته، كما كان لهم أجل الأثر فى التأليف والتصنيف والرواية من بعده.

من هؤلاء العلماء الذين تتلمذوا على الصولى وأخذوا منه، ونقلوا عنه:

على بن الحسين الأصفهانى المعروف بأبى الفرج الأصفهانى[1] المتوفى سنة ٣٥٦هـ، فقد روى عنه فى أغانيه ما يقرب من ثلاثمائة خبر.

ومحمد بن عبد الله بن شاذان المشهور بأبى بكر بن شاذان[2] المتوفى سنة ٣٧٦هـ، وهو الذى جمع كلام المتصوفة.

ومحمد بن عمران المشهور بأبى عبيد الله المرزبانى[3] المتوفى سنة ٣٨٤هـ، الذى كان يفخر بأستاذه ويقول «شيخنا رحمه الله[4]» فنجد فى كتبه - خاصة موشحه ومعجمه نُقُولا كثيرة يرويها عن الصولى.

---

(١) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٥١/٣، دائرة معارف القرن العشرين ٥٨٩/٥.

(٢) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، الأنساب ص ٣٥٧، نزهة الألبا ص ٣٤٣.

(٣) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧، الفلاكة والمفلوكون ص١٠٣.

(٤) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٦٥

وعلى بن عمر الدارقطنى المعروف بأبى الحسن الدارقطنى[٥] المتوفى سنة ٣٨٥هـ، الذى انفرد بالإمامة فى علم الحديث مدة طويلة من الزمن.

ويحدثنا الصولى نفسه عن أناس تتلمذوا عليه، وكان لهم شأن فى الحياة الإسلامية والدولة العباسية من هؤلاء الأمير هارون بن المقتدر المتوفى سنة ٣٢٦هـ.

ومنهم الأمير محمد بن المقتدر بالله المتوفى سنة ٣٢٩هـ - يقول عنهما الصولى: «إنهما تتلمذا عليه وقرءآ عليه كتبا كثيرة..[٦]».

ومنهم أيضا سيف الدولة الحمدانى المتوفى سنة ٣٥٦هـ - أمير حلب - يقول الصولى: «أنه كان فى حداثته يلزمنى، وقد قرأ على علما كثيرا[٧]».

ومن تلاميذ الصولى أيضا - قاضى بغداد - عمر بن محمد المتوفى سنة ٣٢٨هـ والذى تولى القضاء لفترة طويلة ويقول عنه الصولى[٨]: «كان تلميذا لى، وكنت أنا كالمربى له.. قرأ على من كتب اللغة والأخبار وكتبى المصنفة ما يقارب عشرة آلاف ورقة...».

ولقد تتلمذ على الصولى رجال كثيرون ذكرتهم المصادر كما ذكرهم الصولى نفسه بين ثنايا مؤلفاته من هؤلاء: أبو أحمد الفرضى[٩] وأبو الحسن بن الجندى[١٠] وأبو أحمد ابن

---

(٥) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧، المنتظم ٣٦٠/٦، تاريخ أبى الفدا ٩٦/٢.
(٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٥.
(٧) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢١٨.
(٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤١.
(٩) الأنساب للسمعانى ص ٣٥٧، تاريخ بغداد ٤٢٧/٢.
(١٠) أنباه الرواة للقفطى ٢٣٤/٣.

الدهان[١١] وأبو عمر بن حيوية[١٢] وعبيدالله بن عثمان بن يحيى[١٣].

كما أخذ عنه أناس عديدون منهم الحسين بن الحسن الغضارى[١٤]، والحسين بن الحسن الجواليقى[١٥]، وعلى بن القاسم النجاد البصرى[١٦]، وعباس بن عمر الكلوذانى[١٧] وغيرهم.. وغيرهم من تناولتهم كتب الأدب والأخبار والتراجم.

---

(١١) أنباه الرواة للقفطى ص ٢٣٤/٣.

(١٢) الأنساب للسمعانى ص ٣٥٧، والمنتظم ٣٦٠/٦.

(١٣) تاريخ بغداد ٤٢٧/٣.

(١٤،١٥،١٦،١٧) تاريخ بغداد ٤٢٧/٣.

الفصل السابع

ثقافته ومنابعها

تتسم ثقافة الصولى بالشمول والتنوع، ذلك أنها ثقافة موسوعية شملت جميع علوم وفنون وآداب عصره. فهو لم يترك علما من العلوم، ولا فنا من الفنون، ولا فرعا من فروع الأدب، إلا ونهل منه حتى الثمالة.

والصولى بهذا كان يجارى تيار عصره الذى لا يؤمن بالتخصص فى منحى خاص من مناحى العلم أو الأدب، بل كان يحتم على المرء أن يجمع، من كل بستان زهرة خصوصا لمن كان يؤهل نفسه علميا وأدبيا لكى يدخل قصور الخلفاء كاتبا وأديبا ومعلما ونديما، ويؤهله طموحه لكى يشغل المناصب الكبرى فى الدولة.

انتهج الصولى نفس المنهج الذى كان شائعا فى عصره: «من أراد أن يكون عالما، فليطلب فنا واحدا، ومن أراد أن يكون أديبا، فليتسع فى العلوم[1]».

ففى عصر الصولى - أى خمسينيات القرن الثالث الهجرى حتى ثلاثينيات القرن الرابع، لم يكن لطابع التخصص شأن، بل إنهم كانوا يزدرون التخصص ويقبحونه، ويعيبون أن يكرس المرء جهوده لعلم واحد أو لفن واحد، لأنه فى هذه الحالة يتصف بالقصور والجمود، فلابد من تنوع المعارف «فما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة، لا يعرف إلا فنا واحدا، حتى إذا سئل عن غيره لم يُجْلِ فيه[2]».

(١) قول ابن قتيبة - العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٢٣/٢، تاريخ بغداد ٤٠٧/١١، أنباه الرواة للقفطى ١٦٢/٢.

(٢) قول أحد الأمراء وقد دخل مجلسا فوجد مجموعة من العلماء، وكلما سأل أحدهم فى موضوع يتصل بعلم من العلوم اعتذر العالم المسئول عن الرد بحجة أن هذا الموضوع ليس تخصصه، فقال الأمير هذه العبارة. (راجع تاريخ بغداد ٤٠٧/١١، أنباه الرواه ١٦٢/٢)

عرف الصولى ذلك واقتنع به. فعمل على تنويع ثقافته وتلوينها، والإلمام بكل علم وفن ظهر وشاع فى عصره، حتى صارت ثقافته شاملة لكل ما زخرت به الثقافة العربية من علوم وفنون وآداب، وقد أهلته هذه الثقافة الواسعة لأن يضطلع بكل الأدوار التى قام بها فيما بعد فى الحياة الرسمية والأدبية.

ولقد اتضحت هذه الثقافة الشاملة المتنوعة، وبدت جلية فى تأليف وتصنيف كل هذا العدد الضخم من الكتب والرسائل على اختلاف علومها وفنونها، وتنوع أغراضها ومضمونها.

ذلك لأن ثقافته هذه لم تكن وقفا على الدراسة والإستيعاب والإطلاع والالمام فحسب. بل انعكست أيضا على بذل العلم ونشره وتقريبه إلى الأذهان، فهو يدرس ويستوعب، ويطلع ويلم.. ثم يخرج ما درسه من خلال ذهنيته محللا واضحا شاملا لكل دقائق وجزئيات الموضوع مضيفا آراءه فى كل ما درسه واستوعبه، مؤلفا فى نفس المجال أحيانا..

ففى دراسته **لعلوم القرآن** وإلمامه بفروعها، لم يقف عند هذا الحد، بل ألف كتابه «**الشامل فى علم القرآن**[٣]» وذلك مساهمة منه فى التعريف بهذه العلوم ونشرها ومجاراة للتيار السائد فى عصره وخدمة لطلاب العلوم الدينية.

بل إن الصولى - فى كتبه المختلفة - لم يترك موضوعا من الموضوعات التى تناولها فى العلم والأدب إلا وكان يستشهد على صحة رأيه أو توضيحه بآيات من الكتاب الكريم تمس الموضوع وتدعمه وتؤيده.

فحين طلب إليه أن يختار لقبا للأمير «محمد بن المقتدر» الذى تولى الخلافة سنة ٣٢٢هـ.. احتج الصولى على ذلك وقال إن هذه صفات وليست ألقابا، لأن الألقاب

---

(٣) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، هدية العارفين لاسماعيل البغدادى ٣٨/٢.

مكروهة، وقد نهى الله تعالى عنها فى القرآن الكريم، فقال عز وجل «ولا تنابزوا بالألقاب»[٤].

وليس هذا فحسب، بل أن كتابه «**أدب الكتاب**» وطريقته فى تحليل مواده يدل دلالة واضحة على تعمقه الواسع فى علوم القرآن ولغاته وألفاظه ومعانيه، فقد تضمن العديد من الشواهد القرآنية فى مختلف الموضوعات.

وفى دراسته **لعلم الحديث**، تتلمذ الصولى على كبار أئمة الحديث، وانتظم فى حلقاتهم بالمساجد ودور العلم.. نقل عنهم وروى لهم وفسر ما رووه. وتقول المصادر القديمة إنه ألف «**جزءا فى الحديث**[٥]» من مروياته. ويقول الصولى نفسه إنه وضع «**كتبا فى الحديث**»[٦] ليس جزءا فقط.

والصولى إلى جانب معرفته بعلم الحديث يعرف طبقات المحدثين، ويعرف مدى عدلهم وصدقهم فنراه فى كتابه «**أخبار الراضى بالله والمتقى لله**» يؤرخ للعديد منهم، ولمولدهم ووفاتهم، ويذكر نبذة تكفى للتعريف بهم.

فيقول عن **أبى عبد الله المهتدى**[٧] المتوفى سنة ٣٢٣هـ: «المحدث الفقيه المشهور الذى كان له حلقة يجتمع إليه الناس».

ويقول عن **إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى** المتوفى[٨] سنة ٣٢٤هـ «المحدث وهو شيخ هاشمى قدم بغداد من سر من رأى.. ولد سنة ٢٢٤ وكان عنده علو إسناد، فتكلم الناس فى سماعه، والتهبت له سوق، ثم طفئت ورجع إلى سُرَّ مَنْ رأى.

(٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٥.
(٥) كشف الظنون ص ٥٨٨.
(٦) أخبار أبى تمام للصولى ص ٦٢.
(٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٧.
(٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٦.

ويقول عن **أبي بكر بن أبي الأزهر** المتوفى [٩] سنة ٣٢٥هـ «كذبه أصحاب الحديث لادعائه السماع عن أبي كريب، وسفيان بن وكيع، واسحق بن الضيف ونظرائهم».

ويقول عن **أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي**[١٠] المتوفى سنة ٣٣٠هـ أنه محدث لا مثيل له.. وما كان بقى على الأرض محدث أسند منه مع صدقه وثقته.

كما ذكر الصولى العديد من علماء الحديث الذين كان يختلط بهم فى مجالس الخلفاء وقصورهم من أمثال «أبى القاسم بن بنت منيع وعلى بن الجعد وابن عائشة وأبى نصر التمار» ويقول عنهم إنهم «أعلى من بقى فى زمانه إسنادا وأكثرهم ثقة[١١]».

أما عن مجالس الصولى . فقد ذكر إنه كان يجلس فى أخريات أيامه فى أحد مساجد واسط[١٢] أيام ولاية بجكم سنة ٣٢٩هـ ليروى الأحاديث ويفسرها، ولعله فعل ذلك فى بغداد أيضا بعد عودته إليها من واسط. فالخطيب البغدادى يذكر بعض الأحاديث[١٣] التى رواها الصولى بنفسه عن كبار أئمة الحديث الذين تتلمذ عليهم والتقى بهم.

والصولى لتعمقه فى علم الحديث وتفسيره وروايته، ولمعرفته برجاله وكل ما يتصل بهم وبأحوالهم وصف بأنه «**الإمام المفتن**[١٤]».

أما **ثقافته الفقهية**، فقد اكتسبها من أعلام الفقه والتشريع الذين طالما وفد

---

(٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٨٨.

(١٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٣٠.

(١١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٥.

(١٢) أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ١٩٤.

(١٣) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادى ٤٣١/٢.

(١٤) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢٩٦/٣.

إليهم واستمع إلى آرائهم وتحليلهم لأحكام الشريعة، ثم أعمل عقله وفكره وبنى لنفسه آراء خاصة فى الفقه.

فهو لم يترك مجال الفقه والتشريع دون أن يدلى بدلوه فى مضماره، فألف «**كتاب العبادة**[١٥]» تناول فيه كل ما يتصل بالعبادة من أحكام. كما ألف «**كتاب**[١٦] **رمضان**» تناول فيه فضائل الشهر الكريم ثم أعقبه بكتاب آخر أكثر توضيحا، ألفه على هيئة أسئلة والإجابة عليها سماه، «**سؤال**[١٧] **وجواب رمضان**». تناول فيه أحكام الصيام وفوائده.

وليس هذا فحسب بل إن الصولى ضمن كتابه «أدب الكتاب» فصولا قيمة عن بعض الأمور الفقهية، تحدث فيها عن **الأموال والجزية والخراج والزكاة وأحكام الأرض**، وغير ذلك من المسائل الهامة التى تتصل بالفقه والشرع. لكل ذلك وصف الصولى «**بالفقيه**»[١٨].

وثقافة الصولى الفقهية لا تنتهى عند حد معرفته بعلوم الفقه ونبوغه فيها، بل إنه كان أيضا يعرف فقهاء عصره، ويعرف مذاهبهم وآراءهم فى كل ما يتصل بالدين وأحكام الشريعة، فنراه يؤرخ لبعضهم ويذكر نبذا عن حياتهم.

فيقول أن «**ابن المغلس** المتوفى سنة ٣٢٤هـ كان فقيها على مذهب داود[١٩]» ويقول أن **أبا سعيد الاصطخرى** المتوفى سنة ٣٢٨هـ كان رأسا فى حفظ مذهب الشافعى[٢٠] كما يذكر العديد من القضاة ويؤرخ لهم من أمثال **القاضى عمر بن**

---

(١٥) الفهرست ص ١٥١، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، هدية العارفين ٣٨/٢.

(١٦) الفهرست ص ١٥١، هدية العارفين ٣٨/٢.

(١٧) هدية العارفين ٣٨/٢.

(١٨) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادى ٤٣١/٣.

(١٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٨٣.

(٢٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤٠.

محمد قاضى القضاة، وأبى النصر يوسف بن عمر قاضى بغداد، وأحمد بن اسحاق الخرقى[٢١] قاضى مصر والشامات والحرمين وغيرهم.

واكتسب الصولى ثقافته اللغوية من اطلاعه على ينابيع الشعر العربى، فقد عاصر الصولى فحول الشعراء المحدثين من أمثال البحترى وابن الرومى، وابن المعتز، وسمع أشعارهم وحفظها ورواها.

ولم تقف ثقافته على عصره فقط. بل رجع بها إلى العصور السابقة حيث تعمق فى شعر الجاهليين ودرس لغاتهم ولهجاتهم. وعرف صورهم وتشبيهاتهم. وانعكس كل ذلك على نفسه وعلى كتاباته. فنجد للصولى معجما ضخما يجمع فيه العديد من ألفاظ اللغة التى يتناولها، مبينا اختلافها بين القبائل حسب لهجاتها. فكثيرا ما يتحدث عن لغة تميم ولغة قيس[٢٢].

ولقد ذكر القفطى[٢٣] أن الصولى فى شرحه لدواوين الشعراء تناول الغريب من لغاتها فحلله وفسره.

وخير دليل على ثقافة الصولى اللغوية ومعرفته لأسرار اللغة وألفاظها ما حدث فى إحدى الندوات الأدبية واللغوية من نقاش بين الخليفة الراضى بالله وبين الصولى حول كلمة وردت فى قصيدة[٢٤] فقال الراضى عنها: إن الطبرى يقول هذا فى تاريخه.. فقال الصولى: الطبرى ليس فى الغريب مثله فى غيره، واستشهد على صحة كلامه بالأصمعى وأبى عبيدة وابن الأعرابى وأبى عمر الشيبانى.. ثم لم يرض الراضى حتى سأل القاضى عن هذا فقال: رواه الطبرى على خطأ، والصولى كثير السماع، فمن هذا لا يحكى إلا صوابا.

---

(٢١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢١٢.

(٢٢) أدب الكتاب للصولى ص ١٧٨ (التاريخ) وص ١٤٣ (العنوان).

(٢٣) أنباه الرواة - للقفطى ٣/٢٣٣.

(٢٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣٩ - ٤١.

أما **ثقافته النحوية والصرفية**.. فقد اكتسبها من اتصاله بأساتذة كبار فى النحو والصرف من أمثال ثعلب والمبرد وغيرهما، وتدوينه لآراء النحويين ومناقشاتهم.

ولقد درس الصولى كل ما دار فى العصر حول قواعد النحو وأصوله وموضوعاته وعرف رأى العلماء فى مشكلاته، واختلافهم فى الآراء واتفاقهم، وكونه نشأ وعاش فى موطن النحو واللغة وتنقل بين مدن العراق المختلفة، فإنه فد ألم بكل ما تختلف فيه المدرسة البصرية عن الكوفية، وهو لم يكن سلبيا يأخذ الأمور على علاتها، بل كان له رأيه الخاص الذى يؤيد هذه المدرسة أو تلك، فهو من أتباع المدرسة البغدادية التى كانت وسطا بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة.

وهو لإلمامه بعلم النحو ومدارسه، قام بإعراب بعض دواوين الشعراء، وذكر بعض ما اختلف فيه مدارس النحو المختلفة، حتى لقد وضعه القفطى ضمن أنباه نحاته[٢٥].

ولم يكن النحو فقط هو الذى جال فيه الصولى، بل أنه أولى علم الصرف كثيرا من عنايته، فنراه يضمن كتابه«أدب الكتاب» العديد من التحليلات اللغوية مبينا اشتقاقاتها وأوزانها، بل أنه ضمنه بعض الفصول الصرفية لمساعدة كتابه وطلاب المعرفة على الوصول إلى كنوز اللغة العربية ومعرفة ألفاظها.

وليس هذا فحسب، بل أن للصولى استقلالا فكريا فى تفسير الظواهر اللغوية مستهديا فى ذلك بروح اللغة العربية الأصيلة. وقد دعاه تعمقه فى علوم اللغة المختلفة إلى أن يؤلف كتابا فى «**ما اتفق لفظه واختلف معناه**[٢٦]» وأن يشرح بعض دواوين الشعراء المحدثين، وأيضا «**ديوان الحماسة**[٢٧]» الذى ألفه أبو تمام.

---

(٢٥) أنباه الرواة - للقفطى ٢٣٣/٣.

(٢٦) هدية العارفين ٣٨/٢.

(٢٧) كشف الظنون ٦٩٢، هدية العارفين ٣٨/٢.

ولقد كان الصولى شاعرا مجيدا، قدم لنا قصائد رائعة ومقطعات كثيرة معظمها فى المديح والغزل اعترف بشاعريته ومقدرته الفنية أدباء عصره[٢٨].

كما كان عالما بالشعر، ذواقة له، عارفا غثة وسمينه، فاهما لأغراضه ومراميه، وما غمض من معانيه، عارفا بقائليه وطبقاتهم ومذاهبهم وأخيلتهم وصورهم. وقد دفعه هذا الاهتمام بالشعر إلى جمع دواوين عدد كبير من الشعراء المحدثين.

وتحدثنا المصادر الأدبية القديمة، عن مدى ثقافته وعلمة وحفظه ومعرفته بالشعر قديمه وحديثه، كما تبين لنا سعة إطلاعه وسرعة بديهته، بل أن الصولى نفسه يحدثنا عرضا عن ثقافته فى مجال الشعر وروايته وأغراضه فيقول[٢٩]:

«أنشدنا المبرد يوما أبياتا، ولم يسم شاعرها، وقال لا أعرف فى وصف أصحاب المعارف أحسن منها ومن أبياتها:

لبنى نُهَيْك طاعةٌ لَوْ أَنَّها ... رُجِمَتْ بركز مَتَالعٍ لم تَكْلَمِ
قومٌ إذَا غَمَزُوا قَنَاةَ عَدُوِّهم ... حطموا جوانبها بيأس محطِّمِ
....

فكتبوها، ولم أكتبها فقال لى: لِمَ لا تكتبها؟ فقلت: أنا أحفظ القصيدة فقال لى: لمن هى؟ فقلت: لأشجع السلمى، فقال: فيمن؟ فقلت: فى إبراهيم وعثمان ابنى نُهَيك.. قال فأنشدينها. فأشدته:

لمن المنازل مثل ظهر الأرقم ... قَدُمَتْ وعهد أنيسها لم يقدمِ

فضحك وقال: «حسبُك أنت مفروغٌ منك».

فهذه شهادة، وأى شهادة، شهادة من المبرد إمام البصرة فى العربية والنحو..

---

(٢٨) معجم الشعراء المرزبانى ص ٤٦٥

(٢٩) الأوراق - قسم اخبار الشعراء للصولى ص ٨٤

وأيضا فلقد سأل عبد الله بن المعتز أبا بكر الصولى فقال[٣٠]: من أين أخذ أشجع:

وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفه أوسع

فقال: من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليه السلام:

ولم يك أوسع الفتيان مالاً ولكن كان أرحبهم ذراعا

فقال عبد الله: أصبت، هكذا هو..

وهناك مئات من الطرائف والأخبار التى تشهد بمدى حفظ الصولى وثقافته فى الشعر، امتلأت بها كتبه وكتب غيره من الأدباء والمؤرخين له.

ومعرفة الشعر وتذوقه تقتضى الحكم عليه وتقييمه ونقده. ومن هنا وجدت للصولى آراء وأحكام نقدية رفيعة. ولاشك أن الصولى اكتسب أصولها من دراسته لقوانين النقد الموضوعة وأحكام النقاد القدامى والمعاصرين.

ففى تقويم الشعر ونقده جال الصولى فى مجالات عصره متبعا نفس الأصول والقواعد التى اتبعها النقاد فيه - غير أن ثقافته الخاصة وذوقه المتحضر وحسه المرهف أبت إلا أن يكون له آراء خاصة فى الشعر وأحكام على الشعراء. نرى أثرها فى تعليقاته وتحليله لعناصر الجمال والذوق فى الشعر، وفى الحكم على الشعراء من حيث التوفيق فى معانيهم وألفاظهم. نجد من هذه الآراء والأحكام نماذج رائعة فى كتابيه «أخبار أبى تمام وأخبار البحترى».

حقيقة لم يضع الصولى كتابا فى النقد يبرز آراءه النقدية، ولكن من تحليله لشعر الشعراء ومعانيهم، ومقارناته بين أغراض الشعر القديم والحديث، وحديثه عن

---

(٣٠) الأوراق - قسم أخبار الشعراء للصولى ص ٨٣

السرقات، وتوثيقه للشعر وإرجاعه إلى أصحابه الحقيقيين، والحكم بين الشاعرين المتخاصمين المتنافسين، وإثبات أحقية أحدهما فى المعنى. وتأليف المختارات. من كل ذلك وغيره نستطيع أن نلمس الصولى الناقد الذواقة ،ونحس مدى ثقافته النقدية العريضة فيبرز لنا الصولى كأحد أئمة النقد الأدبى فى عصره.

ولقد عرف فيه ذلك معاصروه وتلاميذه، وعرفوا مقدرته الفنية وصدق أحكامه ودقتها فأخذوا منه ونقلوا عنه، من هؤلاء تلميذه المرزبانى فقد أكثر من الرواية عنه، واستشهد بآرائه فى نقد الشعر، حتى أنه قلما يوجد شاعر فى موشحه - تناوله المرزبانى بالنقد والتحليل - إلا وقد استعان بآراء الصولى فيه.

وأيضا ضمن الأصفهانى أغانيه العديد من آراء الصولى فى الشعر والشعراء، ونقل عنه أخبارهم ومكانتهم ومرتبتهم.

بل أن كثرة المختارات الشعرية التى قام الصولى بعملها لبعض الشعراء المحدثين وتجميعها وإخضاعها لعناصر الجودة لهى من صميم النقد الأدبى. ذلك أن كان يحكم ذوقه وعلمه فى إنتقاء الأشعار وتمييزها وترجيح الأجمل والأجود.

وفى مجال التأريخ، اطلع الصولى على تاريخ العرب القديم، وعرف قبائلهم وبطونها وأفخاذها، ومواطنها. ودرس أيامهم وطبائعهم وعاداتهم، كما فهم تاريخ الشعوب والحضارات المحيطة بهم وعرف مبعث الرسول وارهاصاته. ثم مغازيه وأخباره مع أصحابه. كما اطلع على التاريخ الإسلامى وفتوحاته، وأيام الخلفاء ومآثرهم وأحوال الدولة فى عهودهم.

وفى كتابه «أدب الكتاب» نجد ما يدل على ثقافته الواسعة فى مجال التاريخ.

ولقد حبب إليه هذا الاطلاع أن يشارك فى هذا المضمار مشاركة فعالة، فألف فى

التاريخ مجموعة من الكتب أهمها وأعظمها أثرا «**كتاب الأوراق**[٣١]» جمع فيه أخبار بنى العباس من الخلفاء والأمراء وأحداث دولتهم.. ولقد وصلنا من هذا الكتاب الجزء الذى يؤرخ للدولة العباسية من سنة ٣٢٢هـ إلى سنة ٣٣٣هـ. وأيضا أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم.

كما ألف أيضا «**كتاب الوزراء**»[٣٢] «**وكتاب أخبار القرامطة**»[٣٣]» «**وكتاب وقعة الجمل**»[٣٤].

ولقد برزت ثقافة الصولى الرائعة فيما قام به من جمع لأخبار العديد من الأدباء والشعراء والكتاب وغيرهم، والترجمة لهم ولأحوالهم وتسجيل إنتاجهم الفنى، وكل ما كان يدور فى مجالسهم، حتى لقد كان جمع الأخبار وروايتها أحد التخصصات البارزة فى ثقافة الصولى.

وثقف الصولى - بالإضافة إلى كل ما ثقف -الموسيقى والغناء ومعرفة الألحان وإيقاعاتها. وقد استمد معرفته لهذه الفنون من حضوره حفلات الغناء والسمر التى كانت تقام فى قصور الخلفاء ومن اتصالاته بالمغنين والملحنين[٣٥] ومعرفة ألحانهم، ومدى إجادتهم لفنهم، وطريقتهم فى التلحين والغناء

وقد اشتهر الصولى بأنه كان يعرف الغناء ويجيده، يعرف أضربه وفنونه ومقاماته. يعرف مراتب المغنين والمغنيات.

---

(٣١) الفهرست لابن النديم ص ١٥١، معجم الأدباء لياقوت ١٠٩/١٩، وفيات الأعيان ٤٧٩/٣، كشف الظنون ٢٠١، هدية العارفين ٣٨/٢، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦.

(٣٢) الفهرست ووفيات الأعيان ٤٧٩/٣، كشف الظنون ١٤٦٩، هدية العارفين ٣٨/٢ الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦

(٣٣) وفيات الأعيان ٤٧٩/٣، كشف الظنون ٢٧، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٣٤) الأعلام لخير الدين الزركلى ٤/٨، وذكره الدكتور يوسف العشى فى كتابه الخطيب البغدادى ص ١٠٩.

(٣٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٦.

وليس أدل على ثقافة الصولى فى الموسيقى والغناء من تأليفه كتابا عن «**اسحق الموصلى**[٣٦]» أكبر المغنين فى العصر جمع فيه أخباره ومؤلفاته.

وبالإضافة إلى كل ذلك، جال الصولى بين **العلوم الرياضية** التى تعتمد على الذكاء الفطرى والذهن المتقد.. فدرس **علم الشطرنج** دراسة نظرية وعملية، وفهم خططه ورسم قواعده.. وتجلت عبقريته فى هذا الفن فى تأليفه «**كتاب الشطرنج**»[٣٧].

كما ذكر ابن تغرى بردى أن الصولى نبغ فى «**علم الهندسة**»[٣٨] وإن هذا العلم انتهى إليه وأنه شارك فى وضع دعائمه وأصوله.

ولم تنته ثقافة الصولى عند هذه العلوم، بل أنه اطلع أيضا على ما ألف فى علم **الكواكب والنجوم**، وما كتب عن الكسوفات والخسوفات، وما أتت به الروايات والتنبؤات. وكان يربط دائما بين ما أطلع عليه ودرسه، وبين الأحداث المحيطة به:

فحين قتل المتقى لله سنة ٣٣٣هـ نراه يربط بين مقتله، وما جاءت به الرواية من ناحية، وما حدث من كسوفات فى الكواكب من ناحية أخرى. يقول[٣٩].

«وما أعجب ما اتفق له من صحة الأخبار فيه. جاءت الرواية: أن عمر الحادى والعشرين من الخلفاء أقل من ثلثى عمر الذى كان قبله وأكثر من نصفه. فكان كذلك.

وذكر بلیناس فى كتابه الذى ذكر فيه الكسوفات - وهو كتاب قديم قد ألف فى قديم الدهر «**أمر ملك بابل**» فقال. وأنا أحكى لفظه من كتابه، ومن طِلب هذا

---

(٣٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٧٧/٣.

(٣٧) الفهرست لابن النديم ص ١٥١، كشف الظنون ص ١٤٣٠، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٣٨) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢٩٦/٣.

(٣٩) أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٢٨٣.

الكتاب وجد ما ذكرته فيه على ما شرحته إن شاء الله: قال بلياس: «انظر إلى سر غامض فى الكسوفات: إذا كانت الشمس فى الميزان، ووقع كسوف القمر وهو فى الحمل، وزحل فى السرطان، والمريخ فى الجدى.. هلك ملك بابل».

فاتفق هذا الكسوف على هذه الصفة بعينها، فكان بين الكسوف وبين هلاك المتقى لله أسبوع».

كما ألم الصولى ببعض ما يسمى اليوم حسب التعريف الحديث «**بعلم النفس**» وكان إلمامه بهذا العلم ناتجا عن إطلاعه على كتب جالينوس الطبية، وتطبيق ما جاء فى هذه الكتب - بمايتصل بهذا العلم - على المحيطين به من الخلفاء والوزراء والأمراء، ومعرفة أحوالهم النفسية والمرضية.

من ذلك أن الصولى كان يعلل اضطراب رأى الراضى وكثرة ضجره وسوء حالته النفسية وفساد مزاجه.. بكثرة علله وأمراضه.. ثم نراه يَعِد بأن يفرد بابا يوضح فيه كيف أن «**مزاج الروح تابع لمزاج البدن**»[٤٠] حسب ما جاء فى قول جالينوس.

وإذا انتقلنا إلى ثقافة الصولى الديوانية - تلك الثقافة التى تتصل إتصالا مباشرا بعمله فى قصور الخلفاء، وكتابته لهم وقراءته عليهم - وجدنا أنها الثقافة الرفيعة التى جعلته فى الذروة، وأكسبته شهرة واسعة بلغت الآفاق. وقد تمثلت هذه الثقافة ووضحت فى كتابه «**أدب الكتاب**»[٤١] ذلك الكتاب الذى ألفه الصولى ليكون نبراسا وهاديا لمن يريدون أن يسلكوا طريق الكتابة ويتعيشوا من لعاب أقلامهم فى دواوين الحكومة وقصور الخلفاء والوزراء والأمراء والولاة.

---

(٤٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص١٤٧.

(٤١) الفهرست ص ١٥١، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، كشف الظنون ٤٨، هدية العارفين ٣٩/٢.

جمع الصولى فى كتابه هذا خلاصة فكره وتجاربه وثقافته، تلك الثقافة التى اكتسبها طيلة نصف قرن أو أكثر، عاشها فى رحاب الخلفاء وانخراطه فى سلكهم وعمله فى دواوينهم، وكتابته الرسائل لهم وإليهم. فجاء هذا الكتاب خير دليل على ثقافته الديوانية الواسعة التى قدمته على كتاب عصره.. حتى لقد ارتبط اسم الصولى بكتابه «أدب الكتّاب» كما ارتبط «أدب الكتّاب» بالصولى الكاتب.

ولقد كان لتأليف الصولى هذا الكتاب أكبر الأثر فى نفوس معاصريه، خصوصا الوزراء والأدباء وغيرهم، فكُل أثنى عليه حتى لقد كان وزير الراضى «الفضل بن جعفر بن الفرات» يعرضه على كل من يدخل عليه، ويعرف أنه يفهم فى الأدب ويقول[٤٢] «لقد سرنى أنه بقى فى الزمان من يحسن أن يؤلف مثل هذا».

ولم يجعل الصولى هذه الثقافة الديوانية حكرا.. بل نشرها حتى تكون مساهمته فى مجالات المعرفة وفنونها شاملة واسعة، خصوصا لمن يؤهلون أنفسهم للعمل الرسمى.

ولاشك أن الذى ساعد على تغذية ثقافة الصولى وتدعيمها واستمرار جريانها ونضوجها وتمشيها مع تطورات العصر وظروفه هى مكتبته الضخمة الفخمة، التى زخرت بمواد عديدة من الثقافات والعلوم والآداب والفنون ودواوين الشعراء.

فكانت مكتبته هذه حصيلة علمه وخبرته وأحد الروافد الهامة لثقافته، لأنه كان يسجل ويدون كل ما سمعته أذنه ورأته عينه، يرجع إليها فيجد فيها ردا على كل ما يعن، له وتسجيلا لكل ما شاء حفظه... كما كانت هذه المكتبة مقصد كل طلاب العلم والأدب والثقافة فى عصره.

وكان الصولى يهتم بهذه المكتبة إهتماما كبيرا، ويجلد كتبها بأفخر الجلود، ويير

---

(٤٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٩٠.

بين موادها بألوان جلودها.. وبذلك نجد أن الصولى وضع أصلا من أصول فن المكتبات الذى انتشر حديثا حيث جُعلت الألوان وسيلة لتمييز كتب الأدب عن كتب التاريخ عن كتب الفن عن كتب السياسة وغير ذلك.

يقول أبو بكر بن شاذان[٤٣]: «رأيت للصولى بيتا عظيما مملوءا بالكتب وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان، كل صنف من الكتب لون، فصنف أحمر، وصنف أخضر، وصنف أصفر وغير ذلك».

ولقد كانت مكتبة الصولى هذه مبعث فخرٍ له.. لما تحتويه من مواد متنوعة وثقافات متعددة وكتب فى مختلف الفنون والعلوم.. بل إنها صارت حديث المحبين له والساخرين منه على السواء، مما دعا أحدهم أن يقول[٤٤]:

إنما الصولى شَيْخٌ أعلم الناس خزانه
إن تسل عن مشكلات طالبا منه إبانه
قال ياغلمان هاتوا رزمة العلم فلانه

هذه هى ثقافة الصولى – وهى كما نرى ثقافة موسوعية متنوعة، مكنته من أن يكون من أوسع أهل عصره معرفة وأغزرهم علما.

وقد ساعده على ذلك أن الله سبحانه وتعالى منحه ذاكرة لاقطة، وحافظة أمينة وقدرة على الإستيعاب والتعبير، يشهد بذلك القدماء والمحدثون على السواء، من أجل ذلك جاءت آثاره وتصانيفه مرآة تعكس ثقافته التى كانت فى معظمها سماعية.

ونستطيع أن نلخص منابع ثقافة الصولى فى أنها: إنما تتركز أساسا فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وشعر القدماء والمحدثين، وتاريخ الأقدمين ومعرفة آراء اللغويين والنقاد والأدباء فى المشاكل التى كانت تطرح للبحث.

(٤٣) أنباه الرواة القفطى ٢٣٥/٣، تاريخ بغداد ٤٣١/٣.
(٤٤) نفس المصدر السابق.

أما العوامل التى آثرت فى ثقافته فهى:

أولا: البيئة التى نشأ فيها سواء أكانت بيئة أدبية أو اجتماعية أو سياسية.

ثانيا: الثقافة المعاصرة، فمن الثابت الآن أنه تأثر بكل الثقافات المعاصرة والقديمة.

ثالثا: طبيعة الحكم فى الدولة. وكان ذلك سببا جوهريا فى اعتكافه على الدرس والتحليل ليبتعد عن جو المكائد والدسائس والمؤامرات.

الفصل الثامن

روايته ومصادرها

حفظ الشعر العربى معارف العرب وأقوالهم، وأيامهم وفضائلهم فمن سعى لمعرفة شيء من ذلك، تحتم عليه أن ينظر أولا فى أشعارهم.

عرف علماء وأدباء عصر الصولى هذه الحقيقة، فنرى **الجاحظ** (ت سنة ٢٥٥هـ) يقول[١]: «فكل أمة تعتمد على إستبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال، وكانت العرب فى جاهليتها تجتال فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها». ويقول ابن قتيبة (ت سنة ٢٧٦هـ) عن الشعر[٢]:

«الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها والسور المضروب حول مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام».

ومن هنا كانت أهمية الشعر، وكان الاهتمام بحفظه وروايته.. وهى أهمية ترشدنا إلى حقيقة واضحة: أن من يهتم برواية شعر العرب يجب عليه أن يعرف أخبارهم، وأن من يسعى وراء معرفة أخبار العرب يجب عليه أن ينظر فى أشعارهم.

وهكذا ارتبط البحث عن الشعر العربى والسعى وراء الأخبار برباط واحد لا انفصام فيه، فهما هدفان الطريق إليهما واحد، فإذا ما سار فيه عالم واع أدرك الهدفين معا.

---

(١) الحيوان ١/٧١.

(٢) عيون الأخبار ٢/١٨٥.

وعى الصولى هذه الحقيقة وعرفها وأدرك مغزاها، اعترف بذلك المؤرخون له جميعا فقالوا[٣]: «كان عالما بفنون الآداب والأخبار، جيد الحفظ واسع الرواية».

ولقد كان لاجتماع هذين الأمرين - حفظه للشعر وأغراضه ومراميه، ومعرفته بأخبار رواته وقائليه، أثر كبير وواضح فى ثقافته وعلمه، وتذوقه للشعر، دفعاه إلى العناية بهما وروايتهما، فوجد أمامه تراثا ضخما وأخبارا لا حصر لها. فكان أن ألفّ العديد من أخبار الشعراء، وروى عنهم وعن غيرهم وجمع دواوين الفحول منهم.

اجتمعت عوامل متعددة فى بيئة الصولى لكى تجعل من الرجل راوية للشعر والأخبار:

أولا: تناقل الروايات والأحبار وكثرة الرواة فى عصره.

ثانيا: تطور الأحداث السياسية والحروب والفتن والثورات.. وكلها مادة خصبة فى مجال الرواية.

ثالثا: تداول الشعر وكثرته على مر العصور وتناقله جيلا عن جيل.

رابعا: شغف بالرواية والمعرفة.

فإذا عرفنا أن كل ما فى بيئته كان يدعو إلى البحث والنظر والشغف بالأخبار ورواية الأشعار. وأن مدينته - بغداد - كانت قبلة العلماء والأدباء والرواة والإخباريين. وأن التيارات التى حوله كانت تجذبه جذبا إلى الاطلاع والمعرفة. أيقنا أن كل هذه العوامل دفعت الصولى إلى تقصى الأخبار والأشعار ومعرفة أصلها ومصادرها وحفظها وروايتها.

---

(٣) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، ابن كثير - البداية والنهاية ٢١٩/١١، ابن حجر العسقلانى - لسان الميزان ٤٢٧/٥.

فبرز الصولى - فى عصره - راوية إخباريا، شهد بذلك كل المؤرخين وأجمع عليه كل مترجميه.

عنى الصولى برواية الشعر منذ عصوره الأولى.. حتى عصره، فقد روى الكثير من أبياته ومقطعاته، وشرح معانيها ومضامينها، وأهتم أساسا بالأبيات التى أثير حولها الخلاف سواء من حيث المعانى أو التشبيهات، أو فصاحة الألفاظ ودلالاتها، فنجد فى المصادر الأدبية القديمة - وفى كتبه - كثيرا من رواياته ونظراته الثاقبة فى الشعر ومعانيه والشعراء وطبقاتهم.

وقائمة الشعراء الذين روى لهم الصولى يتجلى فيها عدة حقائق:

١ - أن القسط الأكبر من عناية الرجل كان موجها إلى الشعراء المحدثين، خاصة شعراء عصره الذين عاش معهم وتردد على حلقاتهم، وعاصرهم وعرف أخبارهم. مثل البحترى وابن الرومى وابن المعتز. ومن سبقهم مثل بشار وأبى نواس. ومسلم بن الوليد وابراهيم بن العباس ودعبل الخزاعى، والعباس بن الأحنف، وأبى تمام وابن أبى عيينة وغيرهم.

٢ - لم يهتم الصولى كثيرا بشعراء بنى أمية، فلم يبرز منهم عنده سوى الفرزدق، أما جرير والأخطل، فلم يرو لهما سوى أبيات قليلة فى مناسبات مختلفة.

٣ - إنصب إهتمامه بالشعر الجاهلى على الفحول مثل امرىء القيس وطرفة وزهير وعنترة والنابغة وغيرهم، فقد روى لهم أبياتا فى مناسبات معينة، ووازن بين معنى ومعنى، وتشبيه وتشبيه، ولفظ ولفظ.

ولم تقتصر رواية الصولى على شعر المشهورين بل أيضا روى لشعراء مغمورين مثل حمدان بن أبان، وأحمد بن عمرو، وأبى سلمة، وأحمد بن يوسف وأبنائه.

ويمكن القول أن الصولى لم يترك شاعرا من الشعراء السابقين أو المعاصرين

إلا وروى له. وإذا كان الصولى قد اهتم كثيرا بالشعراء المحدثين، فإن ذلك كان إهتماما بالتجديد من ناحية، وإهتماما بالجودة الفنية، وما استحدثه هؤلاء الشعراء فى فن الشعر ومعانيه وتشبيهاته وألفاظه، هذا إلى جانب سهولة توثيق شعرهم، والوصول إلى مصادره الحقيقية، للتأكد من صدق الرواية وصحة نسبته إليهم وسهولة الإتصال برواة عاصروهم وسمعوا منهم.

والأشعار التى رواها الصولى للشعراء يتضح فيها: أن أكثرها أبيات مفردة، بيت أو بيتان أو ثلاثة.

وهذه ظاهرة غلبت كثيرا على معظم مؤلفات الأدب، فكانوا يستشهدون بالبيت أو البيتين على معنى معين أو ظاهرة لغوية أو نحوية أو تشبيه بليغ أو غير ذلك.. من مثل رواية الصولى عن يحيى بن البحترى أنه قال: رأيت أبى يذاكر جماعة من شعراء الشام بمعان من الشعر فمرّ فيها قلة نوم العاشق، وما قيل فى ذلك فأنشدوا إنشادات فيها،فقال لهم أبى: فرغ من هذا كاتب العراق إبراهيم بن العباس فقال[٤]:

أَحْسبُ النـومَ حكاكـاَ إذْ رَأَى منْـكَ جَفَاكـاَ
مِنِّىَ الصـبرُ ومنكَ الـ هجرُ فأبلُغْ بى مَـدَاكاَ
كَـذَبَـتْ هَّمـةُ عَـيْنٍ طَمِعَتْ فى أَنْ تَـراكـاَ

ورواية الصولى للأشعار لا تقتصر على البيت أو البيتين أو الثلاثة.. بل قد تطول أحيانا لتصبح مقطوعات، وقد تصل إلى قصائد، وخاصة حينما يتكلم عن شاعر ويروى أخباره، وقد يروى الصولى القصيدة كلها إذا كانت جيدة، أو لم يعرفها الناس من قبل.

---

(٤) معجم الأدباء ١٩١/١، إلى المرتضى ٤٨٣/١.

وليس هذا فحسب، بل لقد جمع الصولى وروى دواوين العديد من الشعراء المحدثين(٥).

وهناك أسباب متعددة حدت بالصولى إلى العناية بالأبيات القليلة التى رواها للشعراء على اختلاف عصورهم وطبقاتهم ومذاهبهم منها:

١ - الإستشهاد بها فى ميادين النقد، لإظهار معنى إستحدثه الشاعر، أو معنى أخذه الشاعر من غيره، أو لإبراز تفوق شاعر على شاعر فى الوصف أو التشبيه، أو تحليل معنى معين أو ظاهرة لغوية.

٢ - اتصال هذه الأشعار ببعض الأحداث أو الموضوعات أو الأخبار التى يعنى بها ويتحدث عنها، فكانت روايته لهذه الأبيات مؤيدة لها ومتممة لوقائعها، وموضحة لأحداثها.

٣ - إعجابه الخاص ببعض المعانى التى وردت فى أبيات شاعر منهم، فكان يحفظها ويرويها فى المجالس والمناسبات، ويستشهد بها لإظهار هنات الشعراء أو سرقاتهم لمعانى غيرهم.

٤ - إعجابه ببعض الشعراء الظرفاء المقلين.. فكان يروى الشعر للتعريف بشاعر جديد مغمور فكأنه برواية أشعاره يعطيه الفرصة للظهور على مسرح الحياة.

٥ - استشهاده بهذه الأشعار فى الدفاع عن فكرة أو رأى، أو توضيح مقصد شاعر لم يفهمه النقاد.

٦ - الموازنة بين أبيات لشاعرين حول معنى واحد، تناولاه ليبين أيهما أجاد لفظا ومعنى وأيهما اختل.

---

(٥) راجع مؤلفاته (دواوين الشعراء).

منهج الصولى فى الرواية

ويستطيع الباحث أن يحدد منهج الصولى فى الرواية فى العناصر الآتية:

١ - أن روايته لابد أن تتصل بأسانيد أناس معروفين، مشهود لهم بالصدق والأمانة الأدبية، أما من وجدهم غير ذلك، فإنه يرفض روايتهم حتى ولو كانت صحيحة فكان يحرص على ذكر سلسلة إسناده كاملة، لأنه يعلم تماما أن درجة الثقة فى روايته إنما تتوقف - إلى جانب صحتها - على معرفة أسماء رواته. إلا أنه كان أحيانا يهمل السند بقصد التخفيف والتسهيل على القارئين. غير أن ذلك لم يحدث إلا فى كتابه التعليمى «**أدب الكتاب**» الذى توخى فيه توصيل مادته الأدبية إلى أذهان قارئيه بغير عناء أو تطويل.

٢ - أنه لا يأخذ عن الصحفى - الذى يأخذ العلم من الصحف لا عن أساتذة علماء. وهو نفسه يحدثنا عن ذلك فيقول: إنه رفض الأخبار التى نسبها ابن أبى طاهر إلى المأمون وأحمد بن يوسف، رفضها لأن راويها - فى رأيه - غير ثقة، بل أنه جرح ابن أبى طاهر ووصفه بأنه «**صحفى**، حاطب ليل، يشترط فى كتبه اختيار الشعر الجيد ويأتى بالردىء، ويزعم أنه يقلل فيحسن، ويكثر فيسىء، ثم يحكى الكذب، ويخطىء فى التاريخ وفى نسب الشعر[٦]».

٣ - إن الصولى يرفض الروايات التى تخالف الحقيقة، أو المشكوك فى صحتها، أو التى لا يصدقها العقل. من ذلك ما رواه بشار عن الأخطل فقال: «إنه لم يكن مثل جرير والفرزدق، ولكنهما كانا من مضر، فكرهت ربيعة ألا يكون منها مثلهم،

(٦) الأوراق - أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠.

فتعصبت له ورفعت منه، ولقد كان يجتمع هو وجماعة من قومه على شرابهم، فيقول هذا بيتين ويقول هو الأكثر، ويختار الأخطل حتى تجتمع قصيدة فيبعث بها إلى جرير...».

فلم يقبل الصولى كلام بشار ورفضه ، لأنه ليس من المعقول أن يكون شعر الأخطل هو شعر شعراء قبيلته كلها، جمعه من أفرادها، فنراه يعلق على هذا الخبر بقوله: «ولا أدرى ما هذا القول..»[٧].

ومن الجدير بالذكر أن روايات الصولى، قد خلت تماما من الخرافات.. فلم يتناول الصولى إلا المتعارف عليه والمفهوم والملموس من الأخبار والروايات.

٤ - أن الصولى دائما يستقصى ما يرويه من أخبار ويحققها ويمحص المعلومات التى وردت فيها، ويقارن بينها وبين الروايات الأخرى التى تناولتها ليتأكد من صحتها ولا يذكر إلا ما صح من شعر الشاعر أو كلامه[٨]. فنراه فى كثير من الأحيان يروى الخبر الواحد بأكثر من سلسلة إسناد، تختلف كل منها عن الأخرى، بينما الخبر واحد.

٥ - أنه لا يروى إلا الجديد الذى لا يعرفه الناس، حتى يكون لأخباره صفة الجدة والتشويق، فنراه يذكر من شعر الشعراء ما لا يعرفه الناس[٩].. كما يرفض دائما أن يؤلف فيما ألف فيه من قبل، أو تناوله غيره.. فهو حين شرع فى عمل أخبار جرير، علم أن هناك من يقوم بهذا العمل، فأعرض عنه ولم يكمله. كذلك حين ألف أخبار الفرزدق لم يأت بشىء مما جاء فى النقائض، أو ذكره غيره، إلا ما اتصل بنسبة أو أزواجه فقط.

---

(٧) الموشح للمرزبانى ص ٢٢١، وانظر أخبار أبى تمام للصولى ص ١٠٤.

(٨) أخبار الشعراء للصولى ص ٢٣٦.

(٩) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٠.

٦ - أنه لا يروى ما سهل عليه طلبه[١٠] وقرب منه وجوده، وتأكد من صدقه ووصلت به الأمانة الأدبية أن لا يدعى علم ما يجهله، بل كثيرا ما يذكر صراحة عدم معرفته بخبر ما ويقول «**ولا أدرى كيف صحته**[١١]».

٧ - أنه لا يروى إلا ما وجده مكتوبا بخط يثق به، فلا يروى إلا ما وجد بخط الشاعر نفسه أو بخط أهله، أو على لسانهم، ولا يعتد إلا برواية أقرب المعاصرين إليه من أصدقاء أو أقرباء.

٨ - إن الصولى يتحرى الدقة فى روايته للأقوال بألفاظها، فإن لم يستطع لَن ينقل الأنفاظ حرفيا قال: «وما حكيت من ألفاظه التى مرت، وما أحكيه من كلامه بعد، فهو كما أحكيه أو شبهه أو مقارب له، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه، وأنا أحفظ معناه»[١٢].

٩ - أنه فى روايته لشعر الشعراء يظهر الشعر المنحول، ويخرجه من إنتاج الشاعر وذلك ما فعله بشعر أبى نواس[١٣] وغيره من الشعراء.

١٠ - إنه يروى أخباره كما هى دون تغيير أو زيادة أو نقصان.

أما إذا ذكر رأيه أو أضاف كلامه.. نص على ذلك صراحة، فقال: «قال أبو بكر» أو «قال الصولى» ويذكر رأيه.. من ذلك ما رواه المرزبانى عن الصولى، أنه قيل للجاحظ: «مثلك فى عقلك وعلمك بالأدب - ينشد قول الفزارى ويفسره على أنه أراد اللحن فى الإعراب، وإنما أراد وصفها بالظُّرف والفطنة، وأنها تُورِّى عما قصدت له، وتتنكب التصريح به... فقال: فكيف بما سارت به الركبان؟ فيضيف الصولى

---

(١٠) أخبار الشعراء للصولى ص ١٤٣.

(١١) أدب الكتاب للصولى ص ٤٦.

(١٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٨.

(١٣) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٨.

رأيه فيقول: «فهو فى كتابه على خطئه»[١٤].

١١ - أن الصولى كان أمينا فى نقل الرواية، ولم يتبع هواه، ولم ينصر الخطأ.. بل لقد كان يعيب على العلماء ذلك ويقول[١٥]: «نعوذ بالله من إتباع الهوى ونصر الخطأ، والكلام فى العلم بالمَحْل واللجاج والعصبية». لذلك فإن جمهرة العلماء والأدباء والمؤرخين يوثقون الصولى ويعتبرونه من أصدق الرواة الاخباريين».

وهذا ما جعل أبا الفرج الأصفهانى يروى عنه ما يقرب من ثلاثمائة خبر فى أغانيه. وكذلك المرتضى فى أماليه، فقد روى عنه العديد من الآراء والأخبار والمجالس والتحليلات اللفظية.

وأيضا لقد نقل عنه الحصرى القيروانى الكثير من المجالس والآراء والروايات فى كتابه زهر الآداب وفى ذيله.

أما المرزبانى، فقد رصع موشحه بروايات الصولى وآرائه فى الشعر والشعراء، وأكثر من الرواية والنقل عنه كثرة مفرطة، حتى لكأن الموشح من عمل الصولى نفسه.

مصادر روايته

أخذ الصولى الشعر القديم عن شيوخه وأساتذته.. وأخذ الشعر المحدث من أفواه ناظميه من معاصريه.. ومن الرواة الثقات.

ورواة الصولى فى مجموعهم علماء فى اللغة والأدب والشعر والأخبار والحديث

---

(١٤) أمالى المرتضى ١/١٥.

(١٥) أخبار الشعراء للصولى ص ٢٣٦.

والفقه بل هم أعلام العصر على الإطلاق: نستطيع أن نذكر منهم على سبيل المثل لا الحصر:

١ - أبا العباس محمد بن يزيد الأزدى المعروف بالمبرد، المتوفى سنة ٢٨٥هـ،أحد أعلام عصره وإمام النحو واللغة.

٢ - وأبا العباس أحمد بن يحيى الشيبانى المعروف بثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ. إمام الكوفيين فى النحو واللغة.

٣ - وأبا العباس،أحمد بن محمد ثوابة بن يونس[١٦] الكاتب المشهور المتوفى سنة ٢٧٣هـ.

٤ - وأبا أحمد يحيى بن على بن أبى منصور المعروف بابن المنجم[١٧] المتوفى سنة ٣٠٠هـ «الأديب الشاعر المطبوع الذى كان أشعر أهل زمانه وأحسنهم أدبا، وأكثرهم إفتنانا فى علوم العرب والعجم والذى كان نديما للمعتضد ثم المكتفى من بعده.

٥ - وأبا مالك عون بن محمد الكندى[١٨].. الذى روى عنه الصولى المئات من الأخبار وقال: «ما رأيت أعلم بشعر أبى تمام منه[١٩]».

٦ - وأبا العيناء محمد بن القاسم بن خلاد[٢٠] المتوفى سنة ٢٨٣هـ، صاحب النوادر والشعر والأدب والذى كان من أحفظ الناس وأفصحهم لسانا وأسرعهم جوابا، وأحضرهم نادرة.

---

(١٦) ترجمته فى معجم الأدباء ٣٦/٢، الفهرست ص ١٣٠.

(١٧) ترجمته فى معجم الأدباء ٢٨٧/٧، الفهرست ص ١٤٣، نزهة الألبا ٣٠٢.

(١٨) ترجمته فى معجم الأدباء ٩٦/٦.

(١٩) أخبار أبى تمام للصولى ص ٣١.

(٢٠) ترجمته فى الفهرست ص ١٢٥، تاريخ بغداد ١٧٠/٣، معجم الأدباء ٦١/٧، شذرات الذهب ٨٠/٢.

٧ - وأبا على الحسين بن فهم البغدادى[٢١] المتوفى سنة ٢٨٩هـ أحد أئمة الحديث الذى روى الطبقات عن محمد بن سعد.

٨ - وأبا عبدالله الحسين بن على المعروف[٢٢] بالجعل المتوفى سنة ٣٦٩هـ، أحد شيوخ المعتزلة، وصاحب التصانيف الكثيرة على مذاهبهم.

٩ - وأبا الحسن على بن إسماعيل النوبختى[٢٣] المتوفى سنة ٣٢٤هـ. الذى كان حسن الأدب والشعر وتتلمذ على ثعلب.

١٠ - ومحمد بن زكريا الغلابى[٢٤] أحد رواة السير والأحداث وكان مشهودا له بالصدق وله عدد من الكتب منها كتاب مقتل الحسين بن على، وكتاب وقعة صفين وكتاب الجمل.

١١ - ومحمد بن اسحاق النحوى المعروف بابن الوشاء[٢٥] (المتوفى فى أوائل القرن الثالث) الذى كان من أهل الأدب، حسن التصانيف مليح الأخبار.

١٢ - ومحمد بن يونس بن موسى المعروف بالكديمى[٢٦] المتوفى سنة ٢٨٦هـ، الذى كان حافظا للحديث، وسافر إلى الحجاز واليمن من أجل جمعه وروايته ثم عاد إلى بغداد وسكن وحدث بها.

١٣ - والحسن بن عليل المعروف بالعنزى[٢٧] المتوفى سنة ٢٩٠هـ صاحب الأخبار والأدب والمشهود له بين معاصريه بالصدق والثقة.

---

(٢١) ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/٩٢، شذرات الذهب ٢/٢٠١.

(٢٢) ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/٧٣.

(٢٣) ترجمته فى تاريخ بغداد ١١/٣٤٧.

(٢٤) ترجمته فى الفهرست ص ١٠٨.

(٢٥) ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/٧٣.

(٢٦) ترجمته فى تاريخ بغداد ٣/٤٣٥، شذرات الذهب ٢/١٩٤.

(٢٧) ترجمته فى تاريخ بغداد ٧/٣٩٨.

١٤ - وأبا الفياض سوار بن أبى شراعة[٢٨] المحدث وصاحب الأخبار والآداب، الذى قدم بغداد وحدث بها عن العباس بن الفرج الرياشى.

١٥ - وأبا الغوث يحيى بن أبى عبادة الوليد بن البحترى[٢٩] الشاعر.. والذى روى شعر أبيه وكان مقيما بالشام ثم قدم بغداد بعد ذلك. وقد روى عنه الصولى معظم أخبار وأشعار أبيه.

١٦ - وأحمد بن سعيد الدمشقى المتوفى[٣٠] سنة ٣٠٦هـ مؤدب أولاد المعتز والذى اختص بتأديب وتثقيف عبد الله بن المعتز.

١٧ - وأحمد بن محمد بن الفرات الكاتب[٣١] المتوفى سنة ٢٩١هـ. أكتب أهل زمانه، وأضبطهم للعلوم والأدب، وهو الذى مدحه البحترى كثيرا.

١٨ - وعبد الله بن الحسين بن سعد القطربلى معاصر الصولى وصديق البحترى، الذى كان مصدرا رئيسيا من مصادر الصولى فى التأريخ للبحترى.

١٩ - وأحمد بن يزيد المهلبى[٣٢] الأديب الشاعر الراوية.

٢٠ - وعبد الله بن المعتز[٣٣] المتوفى سنة ٢٩٦هـ الأمير الأديب الشاعر الناقد، خليفة يوم وليلة والذى أكثر الصولى من الرواية عنه.

٢١ - وعلى بن العباس النوبختى[٣٤] المتوفى سنة ٣٢٩هـ أحد مشايخ الكتاب

---

(٢٨) ترجمته فى تاريخ بغداد ٢١٢/٩.

(٢٩) ترجمته فى تاريخ بغداد ٢٢٨/١٤، ومعجم الشعراء ٥٠٢.

(٣٠) ترجمته فى معجم الأدباء ٤٦/٣ - ٤٩.

(٣١) ترجمته فى ابن خلكان ١٠٠/٣، وتحفة الأمراء للصابى ص ٨.

(٣٢) ترجمته فى معجم الأدباء ١٥٢/٥.

(٣٣) ترجمته فى الفهرست ١٦٨، تاريخ بغداد ٩٥/١٠، الأغانى ١٤٠/٩، المنتظم ٨٤/٦، الأوراق فى أخبار أولاد الخلفاء ص ١٠٧.

(٣٤) ترجمته فى معجم الأدباء ٢٦٧/١٣، معجم الشعراء ٢٩٥.

وأهل الأدب. وقد نقل الصولى عنه أخبارا كثيرة عن البحترى.

٢٢ - وإبراهيم بن عبد الله الكجى[٣٥] المتوفى سنة ٢٩٢هـ.. الذى كان من أهل الفضل والعلم، وقد نزل بغداد وحدث بها، وروى الحديث عنه خلق كثير. وغيرهم وغيرهم.

وليس هذا فحسب بل لقد عاصر الصولى مجموعة كبيرة من الأدباء والمحدثين والفقهاء، اتصل بهم وعرف كنوزهم، وروى عنهم وذكر العديد منهم فى كتبه.

(٣٥) ترجمته فى الفهرست ص ٣٢٤، تاريخ بغداد ١٢٠/٦، المنتظم ٥٠/٦.

الفصل التاسع

ولوعه وحذقه فى فن الشطرنج

اشتهر أبو بكر الصولى - فيما اشتهر به - بإجادته وحذقه فى فن الشطرنج، ذلك الفنى الأرستقراطى الذى أولع به الخلفاء والوزراء والأمراء والقواد وعلية القوم فى عصره.

فقد تفنن الصولى فيه، وعكف على دراسة أصوله وقواعده وخططه، وطريقة ممارسته حتى بلغ الذروة، فصار ألعب أهل زمانه به، وأنبغهم على الإطلاق دون منازع فلقب الشطرنجى[1].

وقد نسب إليه بعض المترجمين «إنه هو الذى وضع أصول وقواعد هذا الفن[2] ولكن هذا ليس بصحيح، وإنما يذكر الصولى ويضرب به المثل لأنه أجاد اللعب به وبلغ الغاية، فكانوا يقولون لمن يبالغون فى حسن لعبه «فلان يلعب بالشطرنج مثل الصولى[3]».

تذكر المصادر العربية القديمة بعض الأخبار الطريفة التى تصور حذق الصولى وبراعته وإحكام خططه، وطريقته فى مزاولته هذا الفن وتحريك آلاته. وأن ذلك كان سببا فى رفع شأنه لدى الخلفاء. فوصل الصولى عن طريق هذا الفن إلى درجة «النديم الأول» ورائد هذا الفن فى عصره، وصار قريبا من الخليفة المكتفى بالله، قريبا من قلبه لا يطيق فراقه.

(١) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، روضات الجنات ٦١٠.

(٢) معجم الأدباء ١١٠/١٩

(٣) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣

ويحكى المسعودى عن كيفية وصول الصولى إلى هذه المرتبة فيقول[٤]:

«إن الصولى فى بدء دخوله على المكتفى - وقد كان ذُكر له تخرُّجه فى اللعب بالشطرنج - وكان الماوردى اللآعب متقدما عنده، متمكنا من قلبه، معجبا به للعبه، فلما لعبا جميعا بحضرة المكتفى، حمل المكتفى حسن رأيه فى الماوردى، وتقدم الحرمة فى الألفة على نصرته وتشجيعه وتنبيهه، حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وهلة، فلما اتصل اللعب بينهما، وجمع له الصولى متانته، وقصد قصده غلبه غلبا لا يكاد يُردَ عليه شيئا، وتبين حسن لعب الصولى للمكتفى فعدل - عن هواه، ونصرة الماروى وقال له: «عاد ماء وِرْدك بُولا».

وتقول رواية أخرى[٥] عن سبب اتصال الصولى بالمكتفى بالله وانقطاعه إليه «أن رجلا يعرف بمحمد بن أحمد الماوردى كان ينزع إلى المكتفى بالرقة، وكان ألعب الناس بالشطرنج، فلما قدم عليه بغداد وهو خليفة، قال: يا أمير المؤمنين أنا اعلم الناس بهذه الصناعة، فأقطعنى ما كان للرازى الشطرنجى، فغاظ ذلك المكتفى وندب له الصولى فلم ير معه الماوردى شيئا، فقال له المكتفى: «صار ماء وردك بولا». قال الصولى: فأقبل المكتفى علىّ ورتبنى فى الجلساء، فجئت يوما فحجبت عنه، واتصل بى أن خصمى شمت بى، فكتبت قصيدة للمكتفى أقول فيها:

قد سَاءَ ظنُّ النَّاس بِي وتنكرُوا لمّا رأونى دُون غَيْرى أُحجبُ
إنْ كَانَ غلبته تقّرب أمرَهُ دُونِي فإنِي عَنْ قَلِيل أغْلِبُ

فضحك وأمر لى بمائتى دينار، واندرجت فى خدمته.

ومن هذه الأخبار أيضا التى تحكى مدى حذق الصولى وبراعته فى الشطرنج... ومكانته فى نفوس الخلفاء «أن الإمام الراضى بالله أتى فى بعض متنزهاته بستانا

(٤) مروج الذهب ٢/٥٢٠، معجم الأدباء ١١٠/١٩، إرشاد الأديب ١٣٦/٧

(٥) زهر الأدب وثمر الألباب لأبى اسحق الحصرى جـ ٤ ص ١٩٥ ضبط وشرح الدكتور زكى مبارك.

مؤنقا، وزهرا رائعا، فقال لمن حضره ممن كان فى ندمائه: هل رأيتم منظرا أحسن من هذا؟ فكل أثنى، وذهب فيه إلى مدحه ووصف محاسنه، وأنها لا يفى بها شىء من زهرات الدنيا فقال الراضى: «لعب الصولى بالشطرنج أحسن من هذا ومن كل ما تصفون[٦]».

وقد بلغ من علم الصولى بأصول هذا الفن وقواعده، ومقدرته الفنية على مزاولته، أن وضع كتابا فى كيفية أداء هذه اللعبة والتمتع بها وإتقانها، هو «**كتاب الشطرنج**[٧]» مساهمة منه فى نشر هذه اللعبة - التى كانت أداة النديم الأولى - وخدمة لطلاب الترفيه والمعرفة، نظرا لما تعتمد عليه من إتقاد للذهن والقدرة على التحكم والتخطيط والتصرف والصبر.

وقد ذكر ابن النديم[٨] أن لهذا الكتاب نسختين أو طبعتين، ولعل الصولى ألف النسخة الأولى من كتاب الشطرنج فى فترة متقدمة، فجاءت صغيرة الحجم غير مستوفاة فعرفت هكذا، ثم رأى أن يستوفى هدا الكتاب - وكان قد توصل إلى أفكار جديدة وخطط حديثة فى مجال الشطرنج فوضع كتابا آخر، أضاف فيه إلى كتابه الأول فصولا، جديدة ومعلومات أكثر وأشياء لم يذكرها فى كتابه الأول حتى يكون عمله كاملا، وافيا لمحبى هذا الفن وطالبيه. فعرف الكتاب الثانى بحجم أكبر وفصول أكثر وهذا ما جعل ابن النديم ينفرد بذكر أن الصولى وضع كتابين فى فن الشطرنج.

---

(٦) ارشاد الأديب - ياقوت الرومى ١٣٦/٧، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٧٩/٣، مروج الذهب ٥٢٠/٢

(٧) كشف الظنون ص ١٤٣٠، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٨) الفهرست ص ١٥١.

الفصل العاشر

منادماته

دعت الحياة الاجتماعية فى المجتمع العباسى بما فيه من لهو وصخب وسمر إلى أستحداث ألوان جديدة من الإستمتاع بالحياة تتسم بالترف واللهو.

وكان الخلفاء والوزراء والأمراء وعلية القوم، يضمون إلى مجالسهم – إلى جانب العلماء والأدباء والشعراء – بعض الندماء. أولئك الذين يدخلون البهجة على قلوبهم، ويشرحون صدورهم ويخففون عنهم أعباء الحياة، بما يملكون من أدوات السمر والفكاهة والطرب، بالإضافة إلى ما يجمعون من علم ودين وأدب. فحياة المجتمع العباسى المتحضر، والرفاهية التى عمت أرجاءه، استحدثت مجالسة الندماء بقصد الترويح عن النفس والتسلية والتفنن فى تمضية الوقت بشتى الوسائل ومختلف الفنون.

ولقد كانت المنادمة باب السلوك إلى الملوك، وسلم الوصول إلى الحظوة – عندهم، فكان أعلى ما يرجوه صاحب العلم والأدب والفضل والكياسة أن يصبح نديما للملك أو مربيا لابن ملك.

وكان الخلفاء والوزراء والأمراء يدققون فى إختيار ندمائهم وجلسائهم عملا بالحكمة العربية التى تقول[1].

«إذا وُليت فانظر مَنْ كاتبُك، فإنما يُعرف مقدارُك من بُعدٍ عنك بكاتبك،

---

(١) أدب النديم: كشاجم ص ٣.

واستعقل حاجبكَ فإنه يَقْضِى عليك الوفودُ قبل الوصول إليكَ بحاجِبِك، واستظرف نديمَك، فإنما يَزِنُك الداخلُ إليكَ بمثقالِ من يراهُ مَعَكْ.

وقد تواضع القوم على شروط معينة يجب أن تتوافر فى النديم، ورسموا فضائله وأخلاقه، وحددوا مؤهلاته وصفاته ، وما ينبغى أن يتحلى به من خصال، حتى يكون صالحا لمجالسة ومنادمة الخلفاء والوزراء وغيرهم.

فالنديم - بأوسع معانى هذه الكلمة عندهم - أديب، والأديب - فى مفهوم القوم - هو الذى يجمع بين مختلف العلوم[٢] فيكون: عالما وفقيها وكاتبا وشاعرا، ملما بأنواع الثقافات السابقة والمعاصرة، ملما بالعديد من العلوم، كالفلك والنجوم والطرد والقنص ولعب الصوالج والنرد والشطرنج والموسيقى والغناء..

ولا تقف ثقافته ومعلوماته عند هذه الثقافات الأدبية والعلمية والذهنية فحسب بل لابد وأن تتوافر فيه، وتجتمع له ألوان أخرى من الشمائل الخلقية مثل دماثة الخلق ولين الطباع والصبر، يوفق بينهم بلباقة وحسن تصرف، وأن يكون لديه الإستعداد الكامل على التكيف حسب ما تقتضيه الظروف والأوضاع، والمرونة على التشكل والتلون مع ميول مجالسيه من خلفاء أو وزراء أو أمراء.. ولابد للنديم أن يكون متقد الذكاء.. لمّاحا سريع الخاطر، يستشف الأفكار ويكتم الأسرار، يتخلص من المآزق.. ويتصرف وقت الحرج.

«وليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم أولى باستجماع محاسن الأخلاق وأفاضل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف.. من النديم، حتى أنه ليحتاج أن يكون فيه أشياء متضادة، فيكون فيه: مع شرف الملوك تواضع العبيد، ومع عفاف النساك مجون الفتاك، ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث... وأن يجتمع له من قوة

---

(٢) قول ابن قتيبة فى لعقد الفريد لابن عبد ربه ٢٦٥/١.

الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يبلوه من أخلاقه، ويعلم من معانى لحظه وإشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته...[٣]».

ومما يرفع من قدر النديم ومنزلته «ومما يزيده فى المحل تقدما، وعند ملكه أو رئيسه تعظيما وتمكنا أن يكون: عالما بكل ما يتنافس فيه الملوك، ويغالون فيه من الرقيق الثمين، والجوهر النفيس، والآلات المحكمة وأنواع الطيب والفرش، والخيل والسلاح، وسائر ما يهدى مثله إلى الملوك فى مجالس لـذاتهم، وتعرض عليهم فى أوقات نشاطهم[٤].

وقالوا أيضا أن النديم لا يستحق هذا الاسم «حتى يكون له جمال ومروءة»: أما جماله: فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه.
وأما مروءته: فكثرة حيائه فى انبساط إلى جميل، ووقار مجلسه مع طلاقة وجهه فى غَير سخف ولايستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة[٥]».

ولاشك أن رأس مال النديم وعماده هو «**فن المحادثة**» ولباقته فيها، وقدرته على جذب انتباه من حوله، فيكون مطلعا على حيثيات موضوعه، مستوعبا لعناصره وأغراضه، ومضمونه، فاهما لمعانيه وما يحيط به، فـطريقة حـديثه وحسن تعبيـره وبلاغته فى القول، وبراعته فى السرد والتحليل ومقدرته على إدارة المناقشة والإقناع فيها. هى التى تحدد مكانته ووضعه ونظرة الجميع إليه «وأحلى لحديث النديم وأحسن لموقعه أن يتنكب منه الطوال، ذوات المعانى القلقة، والألفاظ الوحشية»[٦].

ومن أكبر أسلحة النديم وأكمل صفـاته - فى عصـر الصولى - إجـادة فن الشطرنج فالشطرنج هو الفن الترفيهى الذى كان يعجب به الخلفاء، ويسلب لُبَّهم،

(٣) أدب النديم كشاجم ص ٧.
(٤) أدب النديم كشاجم ص ١١.
(٥) أدب النديم كشاجم ص ١٤.
(٦) أدب النديم كشاجم ص ٢٢.

ويقضون معظم أوقاتهم فى مزاولته، وليس لأحد فى نفوسهم من الحظوة والتقدير من ذلك الذى يجيد هذا الفن، ويزاوله بحذق وبراعة.. حتى ولو هزمهم فيه، حتى لقد عرف أن الشطرنج لعبة الملوك.

ولاعب الشطرنج لابد وأن يؤديه بمهارة، ويزاوله بفن وتفكير عميق، بصرف - النظر عن مكانة من يلاعبهم «وليس حق نفسه عليه إذا كان عالى الطبقة أن يبخسها حظها، ولايحطها عن درجته، توهما أن تغابيه للرئيس ألطف لمنزلته عنده، وأعطف بقلبه عليه[٧] «لأن فن الشطرنج إنما يقوم أساسا على الصراع من أجل الكسب، كما يقوم على التكافؤ والعدل والندية.. فلا يحترم سوى اللاعب الماهر القوى. فهو بمثابة قائد فى ساحة حرب يقود معركة، فيوجه عساكره وأفياله ليحمى ملكه ووزيره وحدود منطقته.. معتمدا على خطته وخبرته وقوة أفكاره وحسن توجيهه، حتى يكتب له الفوز وتنتهى المباراة لصالحه.

هذا هوالنديم فى رأى القدماء - وهذه هى مؤهلاته وصفاته وخصائصه، لذلك كان للنديم مرتبة كبرى ومكانة مرموقة فى مجالس الخلفاء وبين جلسائهم، وكان النديم يعرف ذلك. وليس أدل على معرفة النديم لقدر نفسه وحظوته ومنزلته فى نفوس الخلفاء. ووزرائهم من ذلك الفخر الذى فاخر به أحد الندماء كاتبا فقال:

«أنا للنعمة وأنت للخدمة، أنا للحظوة وأنت للمهنة، تقوم وأنا جالس، وأنت تحتشم، وأنا مؤانس، تدأب لراحتى، وتشقى لسعادتى، فأنا شريك وأنت معين، كما أنك تابع وأنا قرين[٨].

ولعل من جميل المصادفات حقا أن يورد الصولى قصيدة «أبان ابن عبدالحميد[٩]»

---

(٧) أدب النديم كشاجم ص ٣٨.

(٨) أدب النديم كشاجم ص ٣.

(٩) الأوراق - قسم أخبار الشعراء، ترجمة أبان بن عبد الحميد ص ٣.

تلك التى جمع فيها صفات النديم -حسب مفهومه لشرائط القوم- وتقدم بها إلى الوزير الفضل بن يحيى البرمكى يبغى التقرب منه ليكون له نديما وجليسا. وفيها يتحدث عن نفسه وعن مقوماته وعن خصاله وصفاته وما يمتاز به، فكانت هذه القصيدة جملة ما تعارف عليه الناس وتواضعوا، فيما يجب أن يتحلى به النديم من خصائص وخصال..

ولعل هذه القصيدة أحد الأسباب التى جعلت البرامكة يقربونه ويتخذونه شاعرا ونديما.. فنظم لهم الكثير.. ومدحهم وعمل لهم كليلة ودمنة.. وغير ذلك من الأشعار التى مجدتهم: يقول أبان عن نفسه:

أنا من بغية الأمير وكنزُ ... من كنوز الأمير ذو أرباح..
كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ بليغٌ ... ناصحٌ زائدٌ عَلى النُصّاَحِ.
شاعر مُفْلِق أخف من الـ ... ـريشة مما يكون تحت الجناحِ
ثم أروى عن ابن هرمة للـ ... ـناس يشعر محبَّر الإيضاحِ
ثم أروى من ابن سيرين للـ ... ـعلم بقول منّور الإفصاحِ
ثم أروى من ابن سيرين للشعـ ... ـر وقول النسيب والأمداحِ
لى فى النحو فطنة ونفاذ ... لى فيه قلادة بوشاحِ
إن رمى بى الأمير أصلحه اللـ ... ـه رماحا صدمت حد الرماحِ
ما أنا واهنٌ ولا مستكين ... لسوى أمر سيدى ذى السماحِ
لستُ بالضخم يا أمير ولا الـ ... ـفدمِ[١٠] ولا بالمجحدرِ[١١] الدحاحِ
لحيةٌ سبطةٌ[١٢] ووجه جميلٌ ... واتِّقاد كشعلة المصباحِ

---

(١٠) الفدم: العيىّ الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم.
(١١) المجحدر: القصير.
(١٢) السبط: طويل غير جعد.

وظريف الحديث من كل لون ... وبصيرٌ بحاليات ملاحِ
كم وكم قد خبأت عندى حديثا ... هو عند الملوك كالتفاحِ
فبمثلى تخلو الملوك وتلهو ... وتناجى فى المشكل الفداحِ
أيمنُ الناس طائراً يوم صيْد ... فى غدوٍّ خرجت أم فى رواحِ
أبصرُ الناس بالجوارحِ والخيـ ... ـل وبالخَّردِ[١٣] الحسانِ الملاحِ
كُلُّ هذا جمعت والحمد لـ ... ـلَّهِ على أننى ظريف المزاحِ
لست بالنَّاسك المشعّر ثو ... بيه ولا الماجن الخليع الوقاحِ
إن دعانى الأمير عاين منى ... شَمَريًّا[١٤] كالجلجل الصياحِ

فإذا اتضح الآن مفهوم انقوم للنديم. ومتطلباتهم وشروطهم فيه.. وإذا كانت هذه هى شرائطهم التى وضعوها -كما ذكرها كشاجم فى كتابه، وكما أوردها أبان فى منظومته - لمن يصلح أن يكون نديما..

فهل توافرت هذه الشروط والمتطلبات والصفات فى أبى بكر الصولى؟

إن الجواب ليس عندى وحدى.

إنه أيضا بين ثنايا كتب الأدب والتراجم.

إنه عند خلفاء بنى العباس ووزرائهم وأمرائهم.

إنه موجود بين ثنايا كتب الصولى نفسه، وفى أخباره ورواياته ونقداته.. فكلها تشهد بصفات الصولى ومؤهلاته.. وكلها تشهد بغزارة علمه ومعرفته وثقافته الموسوعية، بل أن التاريخ ليشهد أن خلفاء بنى العباس عرفوه فقدموه وقدروه واتخذوه نديما وكاتبا ومعلما وجليسا طيلة خمسين سنة، توارثه المكتفى بالله عن المعتضد بالله، ثم توارثه المقتدر بالله عن المكتفى بالله، ثم أسلمه إلى ابنه الراضى.. فكان له معلما ومرشدا ومثقفا ثم نديما وجليسا وناصحا أمينا.

---

(١٣) الخرد: مفرد خريد وخرود أى البكر التى لم تمسس.

(١٤) شمرى: ماض فى الأمور مجرب.

فإذا كان ذلك كذلك – فإننا لانبالغ إذا قلنا إن شرائطهم ومتطلباتهم فى النديم كانت جميعا متوفرة بعمق وتركيز وفاعلية فى أبى بكر الصولى.

فكان يجمع بين فنون متنوعة وعلوم شتى يجمع بينها فى قوة واقتدار، وإعتماد على النفس وأعمال للعقل، وإطلاع دائب على كل ما سجلته القريحة العربية وأخرجته العقول:

فكان الصولى من أعلم الناس بقديم السير، وما جرى عليه أمر الدول، عالما بعلوم الأوائل، وقصص الملوك، وأخبار قريش وأمر النبى عليه السلام، ومبعثه ومغازيه، عارفا بأهله وأصحابه.

ومن أعلم الناس بأخبار العرب وأنسابها، وأيام الجاهلية وأخبار الإسلام وأمر الخلفاء ووزرائهم وسائر عمالهم وتباعهم، والخوارج والأحداث فى أيامهم.

عالما بالفقه الذى لابد للناس منه، والحديث الذى يدور دين الإسلام عليه، عارفا لأهله وطرقه ورجاله والقوىّ الثقة فيهم، والضعيف المتهم منهم.

مطلعا على علم الملوك من الأشعار التى يغنى فيها، ونسبتها إلى قائليها. والسبب الذى له قيلت، حافظا لكل ما يحتاج الملوك إليه، ويسألون عنه مما تقع أعينهم عليه، ويخدمون فى الأوقات به.

قادرًا على الإتيان بالنوادر التى تدخر للملوك واختراع النوادر التى تشتق فى مجال الحديث. متقدمًا فى العلم بشعر المحدثين وأوائلهم، قادرًا على أن يقول مثله، عالمًا بألفاظه ومعانيه. وتمييز نادره ووسطه وما كان دُونًا منه.

متقدمًا فى علوم اللغة والأدب.. والرسائل والمكاتبات ومعرفة استراقات الشعراء، وأخذ بعضهم من بعض، والمحسن منهم فى ذلك والمسىء. متحدثًا بارعًا.. وخطيبًا مفوها وشاعرًا ملهمًا ومؤرخًا سجل كل أحداث الدولة وأحوالها.

عارفًا بفنون الغناء والطرب.. ودرجات المغنين ومراتبهم ومدى إجادتهم وخبيرًا بألحانهم وموسيقاهم ومقاماتها.. ويجيد فن الغناء..

مطلعًا على علم الكواكب وأحوال النجوم، ومساراتها وأبراجها وكسوفاتها[١٥]، عالمًا بأحوال النفس البشرية ومزاجها وعلاقة النفس بالبدن.

وأخيرا وليس آخرا - كان أبرز لاعبى عصره فى فن الشطرنج[١٦] حتى لقد ضرب به المثل فى المهارة والبراعة والحذق.

لكل هذه المقومات والصفات - وغيرها - أحبه الخلفاء وقدروه واتخذوا منه سميرًا ونديمًا، وجعلوا له نوبات فى قصورهم يزين مجالسهم وينير لياليهم.

ولقد ذكرت المصادر الأدبية القديمة أن الصولى نادم المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ). ثم المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) ثم الراضى بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ) فقط..

غير أن البحث قد دل على أن الصولى اتصل أيضا بالخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) قبلهم وجالسه ونادمه، وكان له دَلٌّ عليه، ومدحه بالعديد من القصائد. قال المسعودى[١٧]: «أخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام قال: كان لى وِعْدٌ على المعتضد، فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا[١٨] أولها:

---

(١٥) ذكر أنه اطلع على كتاب بلياس فى الكواكب والنجوم والكسوفات - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص٢٨٣.

(١٦) مروج الذهب للمسعودى ٥٢٠/٢، ارشاد الأريب لياقوت الرومى ١٣٦/٧، وفيات الأعيان ٤٧٩/٣، الفلاكه والمفلوكين للدلجى ص ١٠٣.

(١٧) مروج الذهب ٢٧٨/٤.

(١٨) بدر: هو بدر بن خير، وكان حرا من موالى المتوكل، وكان فى خدمة ناشىء غلام الموفق، ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه، وخف بين يديه فى أيام الموفق. وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد، ثم قتل بدر هذا فى عهد المكتفى بالله (راجع مروج الذهب ٢٧٥/٤، الأغانى ٦٧/١، تاريخ الطبرى ٣١٧/٧.

أيها الهاجر مَزْحًا لا مجدْ أَجَزَاءُ الود أَنْ يُلقى بِصدْ؟

قال الصولى: فضحك وأمر بما وعدنى به.

ولقد أجمعت المصادر على أن الصولى كان نديما فريدا، لا مثيل له فى عصره لطيف المعشر جمع الظرافة والدماثة ولين الخلق، وكان حسن العلم بآداب مخالطة الخلفاء ومجالستهم، يملك كل المزايا التى أحبها الخلفاء فى ندمائهم، يملك ذاكرة قوية تعينه على الإتيان بالغزير من الأخبار والطرائف التى تلذها الأسماع، حافظًا لأشعار القدماء والمحدثين، قادرًا على روايتها بما يلائم الحوادث الطارئة والمناسبات المتجددة فى مجالس الخلفاء.

ونستطيع أن نجد أمثلة كثيرة على ذلك - فيما رواه الصولى عن مجالسه مع المكتفى. وكيف كان يستعين بذاكرته فى رواية الأشعار، وسرد الأخبار بما تتفق مع المناسبات يقول[١٩]:

«سمعت المكتفى بالله يقول لمتوج بن محمود بن مروان بن يحيى بن مروان بن أبى حفصة: يقول جدك مروان[٢٠] الأصغر لعنه الله:

وحَكَّم فيهـا حَـاكِمَـيْنِ أَبُـوكُمُ هُمَا خَلَعَاهُ خَلْعَ ذِى النَّعْلِ لِلنَّعْلِ

فقال: وما علىَّ من وِزْرِهم.. قال: أنت على مذهبهم، وما أحسن ما قال البحترى فى أبيك: أنشده ياصولى.. فقلت: إن هذا يشكونى وما أحب كلامه، وسيدنا أحفظ للأبيات منى.. فقال: أنشده وَزِدْ فى صوتِكْ فأنشدتُ:

يا عَجَبا مِنْ حِلْمِكَ الْعَازِبِ وعَقْلِكَ الْمُسْتَهْلِكَ الـذَّاهِبِ
وَمِنْ وصيف وَهْـوَ مُسْتَقْـدَمٌ يَبْصقُ فى شَعْر إِسْتِكَ الشائِبِ

---

(١٩) أخبار البحترى للصولى ص١٧٩.

(٢٠) هو مروان بن أبى الجنوب شاعر عباسى نادم المتوكل وكان يتقرب إليه بذم على بن أبى طالب.

إنْ اكْسَدَتْ سُوقُك أو أَخْلَقَتْ بضاعَةٌ من شِعْرِك الخَائِبِ
أَنْشأْتَ كي تُنْفِقَهَا مُزْرِيًا عَلَى عليِّ بن أبي طالبِ
قَدْ آنَ أَنْ يَبْرُدَ مَعْنَاكُمُ لَوْلَا لُجَاجُ الْقَدر الْغَالِبِ

فقال المكتفى: قد بَرَدَ معناهم، والحمدلله الذى جعل ذلك فى أوانى».

وكثيرا ما طلب المكتفى من الصولى أن يذكر له ما قاله الشعراء فى وصف ألوان الطعام التى تقدم فى مجالس الخليفة. قال الصولى[٢١]: كنا يوما نأكل بين يدى المكتفى فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه فى نهاية النضارة ورقة الخبز وإحكام العمل، فقال: هل وصفت الشعراء هذا؟ فقال له يحيى بن على: نعم، قال أحمد ابن يحيى فيها:

قطائفُ قد حُشِيتْ باللّوزِ والسكر الماذِيِّ حَشْوَ الموزِ
تسبحُ فى آذيِّ دهن الجوزِ سُرِرْت لما وقعت فى حَوْزِى
سُرُور عباسٍ بقربِ فَوْزِ

قال الصولى: وأنشدته لابن الرومى قوله:

«وأتت قطائف بعد ذاك لطائف»

فقال: هذا يقتضى ابتداء، فأنشدنى الشعر من أوله فأنشدته لابن الرومى..... (القصيدة).....

فاستحسن المكتفى بالله الأبيات وأومأ إلى أن أكتبها له ، فكتبتُها له.

ويصور لنا الصولى أيضا العديد من مجالس الراضى بالله، وما كان يدور فيها من مناقشات أدبية وعلمية وتاريخية. يقول الصولى عما دار فى أحد هذه المجالس[٢٢]

---

(٢١) مروج الذهب المسعودى ٤/٢٨٧.

(٢٢) زهر الآداب وثمر الألباب لأبى اسحق الحصرى ٤/١٩٥ ضبط وشرح الدكتور زكى مبارك.

جرى ذكر المكتفى بحضرة الراضى، فأطنبت وأكثرت الثناء عليه فقال لى: ياصولى كنت أنشدتنى لجرير:

أُسلّيك عَنْ زيدٍ لتَسْلُو وقَدْ جَرَى ... بِعَيْنيك مِنْ زَيْدٍ قَذًى لَيْسَ يَبْرَعُ

فقلت: يا أمير المؤمنين، من شكر القليل، كان للكثير أشد شكرا وأعظم ذكرا، قال: فأين أنا لك من المكتفى، فأنشدته للطائى:

كَمْ مِنْ وساعِ الجُود عندى والنَّدَى ... لما جَرَتْ جَدْوى وكان عَطُوفا
أَحْسَنْتُما صَفَدِى ولكِنْ كنتَ لى ... مثل لربيع حَيا وكَانَ خَرِيفا
وَكِلَا كمَا اقْتَعَدَ العُلَا فَرَكِبْتُهاَ ... فى الذِّرْوَةِ العُلْياَ وجاء رَدِيفا
إنْ غَاضَ ماءُ المُزْن فضت وإنْ قَسْتْ ... كبدُ الزمان علىّ كُنْتَ رءوفا

وقد سجل لنا الصولى العديد من المجالس والأخبار عن علاقته ومنادمته للراضى فى كتابه «أخبار الراضى بالله والمتقى لله».

وكان الصولى مقبول القول مهيب الجانب عند الخلفاء، استحوذ على ثقتهم وتقديرهم، وكان ملازما لهم فى معظم أوقاتهم فى غدوهم ورواحهم، ومكوثهم وسفرهم، يشيع فى مجالسهم الأنس والظرف بعذب حديثه ورقيق شمائله، وحضور بديهته وسرعة خاطره.

وفى ذلك يحدثنا الصولى عن بعض أسفاره مع المكتفى بالله فى سفينة، وكيف داعبها الموج ومادار فى نفوس من حولهم. وأن هذا الموقف ذكره بشعر للبحترى يناسب وضعهم ومأزقهم... يقول[٢٣]:

«انحدرنا مع المكتفى بالله فى آخر سَفْرَةٍ سافرها للصيد من الموضع المعروف بُجِنّه إلى تكريت، فى حَرَّاقة، فكانت تجنح كثيرا، فيشتد فَزَعُ من معه من الجلساء لذلك، وكنت أشدهم فزعا... وكان فى الحراقة سواى من الجلساء يحيى بن على

(٢٣) أخبار البحترى للصولى ص١٨٠.

المنجم، ومتوج بن محمود بن مروان والقاسم المعروف بابن حَبَابة، وكان يضحك لفزعنا ويقول: لقد قسم الله لكم حظا من الشجاعة جزيلا، فقلت له: إن البحترى يقول شعرا يصف فيه مثل حالنا، ويمدح به أحمد بن دينار بن عبد الله. وقد غزا الروم فى مراكب.. أوله:

أَلَمْ تر تَغْلِيسَ الرَّبيعِ المبكِّرِ ... ومَاحَاكَ من وَشْيِ الرِّيَاضِ المَنَشَّرِ

فقال لى: أنشدنى الموضع الذى ذكر هذا فيه منها - وكان جيد العلم بالأشعار، حافظا للأخبار - فأنشدته:

غَدَوْتَ عَلَى الميمُونِ صُبْحًا وإِنَّمَا ... غَدَا المرْكَبُ المَيمُونُ تَحْتَ المُظَفَّرِ

....

فاستجاد المكتفى هذا الشعر.

ولكم أشاع الصولى فى مجالس الخلفاء البهجة والفن والطرب، فقد كان رخيم الصوت عذب النبرات يحسن الغناء... وكثيرا ما يرتجل[٢٤] الأشعار مازحا مادحا واصفا[٢٥] ومتغزلا، فيزيد سامعيه أنسا وبهجة وامتاعا.

ومن ذلك - وفى إحدى منادماته للخلفاء، أنشد أحد الوزراء بيتا للبحترى وجعل يردده ويستحسنه وهو:

وكأنَّ فى جسمىِ الَّذىِ ... فى نَـاظِرِيْـكِ من السَّقَمْ

فقال الصولى[٢٦]: «فجذبتُ الدواة وعملت بحضرته»:

أحببتُ من أجله مَنْ كان يُشْبِهُهُ ... وكلُّ شىءٍ من المعشوقِ مَعْشُوقُ

حتى حكيتُ بجسمِى ما بِمُقْلتِهِ ... كَأَن سُقْمى مِنْ عَيْنَيْهِ مَسْرُوقُ

(٢٤) مروج الذهب المسعودى ٤٩٨/٢.

(٢٥) وصف الزبيدية ورغيف الند بحضرة الراضى.

(٢٦) أخبار البحترى للصولى ص ١٧٨، تاريخ بغداد ٤٢٩/٣، نزهة الالبا للانبارى ص ٣٤٤، المنتظم لابن الجوزى ٣٦٠/٦، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١.

فاستحسن الحاضرون منه ذلك وأعجبوا بسرعة خاطره وذكائه وشاعريته.

كل ذلك جعل الخلفاء والأمراء والوزراء يستظرفونه ويأنسون حديثه، ينجذبون إليه ويجذبونه إليهم، فينادمونه ويسعدون بمجلسه، لما يجدون فى جعبته من متع لا حد لها، وقلما ذهب رجل برضاء الخلفاء أو الملوك إلا إذا كان صاحب مزيا، وينفرد بمواهب وخصال وكفاءات تسرهم وتنفعهم وتضفى البهجة على قلوبهم.

ومن المؤكد أن الصولى كان يتفوق على أنداده بغزارة علمه، وبلاغة قوله، وعذب حديثه.. كل ذلك جعله فى المكانة العليا وفى الصف الأول، وأحد المقربين من الخلفاء الذين يجلسون عن يمينهم، تسمع كلمتهم ويؤخذ رأيهم ويديرون دفة الحديث فى المجالس والندوات.. فى جميع المجالات.

هذا هو الصولى..

وهذه هى حياته..